جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

واقع
البلاغة العربية

الدكتور
إبراهيم محمد محمد عبد الرحمن
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد
قسم اللغة العربية - كلية الآداب بجامعة العريش - جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الخامس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

واقع البلاغة العربية

إبراهيم محمد محمد عبد الرحمن

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب بجامعة العريش ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Ebrahem.m.m@yahoo.com

الملخص

هذا البحث محاولة استكشافية لواقع البلاغة العربية الذي تعيشه، من خلال:

أولاً- رصد ما تعانيه من إشكاليات، مثل: التقعيد الصارم، وكثرة الأقسام، والنظرة الجزئية التي لا تجعل البلاغة تنظر نظرة كلية للنص، وغلبة النزعة المنطقية عليها؛ مما أدى بها إلى جفاف اللغة أحيانًا، وإهمال بعض الجوانب المهمة في إماطة اللثام عن معطيات النص وبلاغته.

ثانيًا- رصد أبرز الحوارات التي دارت حول البلاغة العربية في العصر الحديث، ما بين: متعصب لها راضٍ بما أنجزته، وحانق عليها داعٍ إلى نبذها، ومتوسطٍ بين المتعصب والحانق يرى تطويرها وتجديدها.

ثالثًا- تقديم رؤية متواضعة وسريعة لما يجب أن نقوم به تجاه البلاغة العربية؛ لتخليصها من الأوشاب التي علقت بها، وتطويرها وتجديدها.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية – إشكاليات – تجديد .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The reality of Arabic rhetoric

Ibrahim Mohamed Mohamed Abdel Rahman
Professor of Rhetoric and Literary Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, University of Arish, Arab Republic of Egypt
Email: Ebrahem.m.m@yahoo.com

Abstract

This research is an exploratory attempt at the reality of Arab rhetoric that you are experiencing, through:

First - Monitor the problems you suffer from, such as: strict discontinuity, the large number of sections, and a partial view that does not make rhetoric look at a complete view of the text, and the prevalence of logical tendency over it, which led to the drying of the language at times, and neglecting some important aspects in the unveiling of the text's data And his eloquence.

Second - Monitoring the most important dialogues that took place around Arab rhetoric in the modern era, between: a fanatic who is satisfied with what she accomplished, and an embarrassment calling for it to be discarded, and an average between the fanatic and anger who sees its development and renewal.

Third- Providing a humble and quick vision of what we must do towards Arab rhetoric in order to rid it of the chains that were attached to it, and to develop and renew it.

Keywords: Arabic rhetoric - Problems – Renewal .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من أهمِّ علوم اللغة العربية: علم البلاغة، علم الذوق والجمال، والفن الأدبي، ولقد كان لهذا العلم فضلٌ كبيرٌ في بيان أساليب العرب، وتَراكيب لغتهم، وما تَمتاز به من قوَّةٍ وجمال؛ في اللفظ والمعنى، والعاطفة والخَيال؛ ممَّا أعان كثيرًا على فَهْم تُراثنا، وتقدير لُغتنا، وبَيان إعجاز القرآن الكريم.

ونعلم أن البلاغة فرع من فروع اللغة، واللغة – كما نعلم – أصوات، وكلمات، وجمل، ونصوص، والبلاغة – بوصفها علمًا قائمًا بذاته من علوم العربية يختلف عن نظرائه – تهدف إلى: إبراز عناصر التأثير والإقناع والإمتاع التي ينطوي عليها الفن القولي في المتلقي، وإبراز البعد الجمالي فيه، وإكساب الموهوبين في مجال الإبداع الأدبي القدرة على تجويد الكلام وإخراجه في أحسن حلة، وأبهى صورة.

ومن أعز أهداف البلاغة العربية وأسماها هو إثبات إعجاز القرآن من جهة بلاغته الكلامية؛ إذ القرآن الكريم نزل أول ما نزل معجزة بلاغية، وتحدى الله به العرب من هذه الجهة، أما ما فيه من عجائب أخرى تَثْبُتُ بها وجوهٌ أخرى للإعجاز فيه فما هي إلا تأكيد لإعجاز الوجه البياني، وليكون حجة على غير العالِمينَ بالعربية، فإذا كان إعجاز الوجه البياني يُقيم الحجة على العالِم بالعربية؛ فإن الوجوه الأخرى تقيم الحجة على العالِم بالعربية وغير العالِم بها.

ولما كانت البلاغة تهدف إلى تحقيق هذه الأهداف العالية، فلابد أن تكون آلياتها شاملة لكل أجزاء النص.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والسؤال الآن: هل استطاعت النظرية البلاغية العربية التي بين أيدينا تحقيق الأهداف التي ترنو إليها، وهل كشفت عن الأدوات والطرائق التي تحقق للكلام السبك والتجانس؟ وتكشف للمتلقي عناصر التفوق والجمال في الكلام؟

وأجيب: نعم، أدت البلاغة العربية دورها المنوط بها في أطوار كثيرة على أيدي عمالقة البلاغيين المتقدمين، لكن عدت على البلاغة العوادي على أيدي متأخري البلاغيين عندما تحولت على أيدي هؤلاء إلى: تعاريفَ وتقاسيم تقومُ على جَدَلٍ عَقيم أحيانًا، وبقيت البلاغة هكذا حتى العصر الحديث، فحاولت أن تتخلص من هذه الأعباء التي أثقلت كاهلها؛ فبُذِلَت محاولاتٌ للخروج بها من هذه الدائرة، والعودة بها إلى عصور ازدهارها، لكنها في المجمل جاءت محاولات قاصرة.

وهذا البحث يتعرض – بإيجاز – لواقع البلاغة العربية، وقد قسمته إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

تطرقت **المقدمة** لأهمية البلاغة ودورها، وخطة البحث، ومنهجه.

وتناول **المبحث الأول** أبرز إشكاليات البلاغة العربية.

وتناول **المبحث الثاني** البلاغة العربية في العصر الحديث.

وجاء التعقيب **والخاتمة** لإبراز أهم النتائج، وعرض بعض التوصيات.

وقد تبنى البحث منهجية تقوم على: وصف الظواهر وتصنيفها وتوجيهها ونقدها؛ للوصول من خلال ذلك إلى رؤية واضحة لواقع البلاغة العربية؛ الإيجابي منه والسلبي.

والله أسأل التوفيق والصواب

المبحث الأول

من إشكاليات البلاغة العربية

المطالع لكتب البلاغة العربية – خصوصًا كتب متأخري البلاغيين – سيقع على عدد من الإشكاليات التي وقع فيها البلاغيون الذين تناولوا هذه البلاغة بالتأصيل والدرس، من هذه الإشكاليات:

أولاً - الاهتمام بالتقعيد والتقسيم:

حينما نشأت البلاغة العربية كان للذوق اعتباره بجوار المعيار البلاغي، وعندما قام عبد القاهر – وهو يضع نظريته للنظم في كتابه: دلائل الإعجاز، ويكشف عن أسرار البلاغة في كتابه: أسرار البلاغة – بتأطير البلاغة وصياغتها علمًا – لم يَعْدُ على مقياس الذوق والجمال، وكان هذا منه على مستوى التنظير والتطبيق؛ فعلى مستوى التنظير ربط عبد القاهر بين الفن القولي والفنون الجمالية؛ فهو يماثل بين نظم الكلام و«النسج والوشي والنقش والصياغة»[(١)]، فلولا ذوقه الرائق وإحساسه بالجمال ما كان ربط هذا الربط.

يقول: «واعلمْ أنه لا يصادِفُ القولَ في هذا البابِ موقعًا من السامِعِ، ولا يَجدُ لديه قَبولاً، حتى يكونَ من أهلِ الذوق والمعرفةِ»[(٢)]. ويعقد بابًا في بيان أن «النظم، ودخول الشبهة في أمره، وأن مرده إلى الذوق»[(٣)].

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر (مطبعة المدني، القاهرة وجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ص٥٣.

(٢) السابق، ٢٩١/١.

(٣) السابق، ٥٤٦/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو عند التطبيق كذلك، تجد دقة التحليل المعتمد على العلم والذوق معًا، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى؛ فعبد القاهر عند كلامه عن قوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، قال: «الشبهُ منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودَعُ ثَمَر العقول، ثم لا يُحسّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرِّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدَّلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقُلُ عليه، ويكُدُّ جنبيه، فهو – كما ترَى – مُقْتضَى أمورٍ مجموعةٍ، ونتيجةٌ لأشياءَ أُلّفت وقُرن بعضها إلى بعض، بيانُ ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعَى من الحمار فعلٌ مخصوص، وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئًا مخصوصًا، وهو الأسفار التي فيها أماراتٌ تدلّ على العلوم، وأن يُثلَّثَ ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود، ثم إنه لا يحصلُ من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد، ولا يُتصوّر أن يقال: إنه تشبيه بعد تشبيه، من غير أن يقف الأول على الثّاني، ويدخل الثاني في الأول، لأن الشَّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضًا بحَمْلِ الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جَهْلُ الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره، ...؛ لأنك لو قلت: كالحِمار يَحْمِل أسفارًا، ولم تعتبر أن يكون جهل الحمار مقرونًا بحمله، وأن يكون متعدِّيًا إلى ما تَعدَّى إليه الحمل، لم يتحصل لك المغزَى منه، وكذلك لو قلت: هُمْ كالحمار في أنه يجهل الأسفار، ولم تشرط أن يكون حمله الأسفارَ مقرونًا بجهله لها لكان كذلك، وكذلك لو ذكرت الحمل والجهل مطلقين، ولم تجعل لهما المفعول المخصوص الذي هو الأسفار، فقلتَ: هو كالحمار في أنه يحمل

ويجهل، وقعتَ من التشبيه المقصود في الآية بأبعد البُعد، والنكتةُ أن التشبيه بالحمل للأسفار، إنما كان بشَرْط أن يقترن به الجهل»[١].

انظر إلى هذا التحليل فإنه يروعك؛ إذ يجمع بين العلمية في أعلى درجاتها والحس الذوقي في أبهى صوره، فتجد أنه يحلل الصورة التشبيهية تحليلاً دقيقًا، ليجد الروابط بين طرفيها، ويوجه إلى دقة الربط بين هذين الطرفين، وأنه ما كان للصورة أن تتحقق على هذا النحو لولا تداخل جزيئاتها في وجه الشبه؛ فلا يصلح نزع جزء من جزئياتها، فلو وقع لفسدت الصورة؛ لأن وجه الشبه هيئة مركبة، ويقارن الصورة بصور أخرى ليس بينها هذا التمازج، ويمكن الفصل؛ ليزيد تحليله وضوحًا، وهكذا يمزج عبد القاهر العلمية بالذوقية، ويفعل ذلك في كل تحليلاته.

لكن بعد عبد القاهر والزمخشري، ومنذ قَنَّنَ الفخر الرازي البلاغة في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، ومنذ ألَّف السكاكي في القرن السادس الهجري كتابه (مفتاح العلوم)، وجعَل القسم الثالث منه في علم البلاغة، غلبت القاعدة على الذوق؛ فبدا الذوق بجوارها ضعيفًا واهنًا.

وراجع – إن شئت – (نهاية الإيجاز) لا تجد – غالبًا – إلا القاعدة والمثال عليها، تجد نحو قوله في حقيقة الكناية: «اعلم، أن اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها، فلا يخلو إما أن يكون معناها مقصودًا أيضًا ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي، وإما ألا يكون كذلك؛ فالأول هو الكناية، والثاني هو المجاز.

(١) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ص٧٧-٧٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومثال الكناية: فلان طويل النجاد، كثير الرماد. فقولنا: طويل النجاد، أُسْتُعْمِل لا لأن الغرض الأصلي معناه، بل يلزمه طول القامة، وهكذا القول في المثال الآخر، فهذا هو الكناية في المثبت.

وأما الكناية في الإثبات؛ فهي ما إذا حاولوا إثبات معنى من المعاني لشيء فيتركون التصريح وإثباته له، ويثبتونه لما له به تعلق، كقوله:

إِنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ[1]

لما أراد إثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها، بل عدل إلى ما ترى من الكناية فجعلها في قبة ضربت عليه...»[2]

واقرأ – إن شئت – في المفتاح قول السكاكي: «وأما الحالة المقتضية لذكره فهي ألا يكون ذكر المسند إليه يفيد المسند بوجه ما من الوجوه، كما إذا قلت ابتداء: زيد عالم، أو أن يكون في ذكر المسند غرض، وهو: إما زيادة التقرير، أو التعريض بغباوة سامعك، أو استلذاذه، أو قصد التعجيب من المسند إليه بذكره، كما إذا قلت: "زيد يقاوم الأسد"، مع دلالة قرائن الأحوال، أو تعظيمه أو إهانته، أو غير ذلك مما يصلح للقصد إليه في حق المسند إليه إن كان صالحًا لذلك، أو بسط الكلام بذكره، والمقام مقام بسط،

(١) البيت لزياد بن الأعجم. ديوانه، جمع تحقيق ودراسة: د. يوسف حسين بكار (دار المسيرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ص٤٩، وينظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ) ٢٨٦/١٢، و٢٥٩/١٥. وعبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،٣٠٦/١. وجار الله الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ) ٣٨٦/٤. وأبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص٤٠٧.

(٢) الفخر الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٤م) ص١٦٠، ١٦١.

أو لأن الأصل في الخبر هو أن يذكر – كما سبق – أمثال ذلك في إثبات المسند إليه، أو ليتعين بالذكر كونه اسمًا، كنحو: "زيد عالم"، فيستفاد الثبوت صريحًا، فأصل الاسم صفة أو غير صفة الدلالة على الثبوت، أو كونه فعلاً، كنحو: "زيد عَلِمَ"؛ فيستفاد التجدد، أو ظرفًا، كنحو: "زيد في الدار"، فيورث احتمال الثبوت والتجدد بحسب التقديرين، وهما حاصل أو حصل...، ويصلح لشمول هذه الاعتبارات قولك عند المخالف: "الله إلهنا، ومحمد نبينا، والإسلام ديننا، والتوحيد والعدل مذهبنا، والخلفاء الراشدون أئمتنا، والناصر لدين الله خليفتنا، والدعاء له والثناء عليه وظيفتنا"»[(١)].

واقرأ – أيضًا – قوله: «الاستعارة تنقسم إلى: مصرح بها ومكني عنها، والمراد بالأول هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به، والمراد بالثاني أن يكون الطرف المذكور هو المشبه، والمصرح بها تنقسم إلى: تحقيقية وتخييلية، والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئًا متحققًا، إما حسيًّا وإما عقليًّا، والمراد بالتخييلية أن يكون المشبه المتروك شيئًا وهميًّا محضًا لا تحقق له إلا في مجرد الوهم، ثم تقسم كل واحدة منهما على: قطعية، وهي: أن يكون المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي، أو على ما لا تحقق له البتة إلا في الوهم. وعلى احتمالية، وهي: أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ما له تحقق، وأخرى على ما لا تحقق له، فهذه أقسام أربعة: الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع، الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع، الاستعارة المصرح بها مع الاحتمال للتحقيق والتخييل، الاستعارة بالكناية. ثم إن الاستعارة، ربما قسمت على أصلية وتبعية، والمراد بالأصلية

(١) أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص٢٠٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أن يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولاً أوليًّا، والمراد بالتبعية أن لا يكون داخلاً دخولاً أوليًّا، وربما لحقها التجريد فسميت مجردة، أو الترشيح فسميت مرشحة»(١).

فَكل هَمّ الرازي والسكاكي التقعيد والتقسيم ولا تجد للذوق نصيبًا كبيرًا، ولشدة كلفهما بالتقعيد والتقسيم لا يضعف الذوق فقط، بل أحيانًا التمثيل للقسم أو القاعدة؛ لدرجة أن النص الثاني من النصين السابقين لم يذكر السكاكي فيه مثالاً واحدًا ولو لقسم واحد من الأقسام التي ذكرها، وفي النص الأول كل أمثلته مصنوعة، ولم يأت بمثال واحد من القرآن أو الشعر أو النثر.

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: «ومنهم من اكتفى بما وجه إليه الجرجاني من دراسة البلاغة طريقًا لفهم الإعجاز ودلائَل عليه، فاستقل بالبحث البلاغي بعيدًا عن قضية الإعجاز، كما عزل البلاغة عن معاني النحو التي قرر الجرحاني، بحق، أنها داخلة في بلاغة النظم. وإمام هذه المدرسة هو السكاكي الذي جعل البلاغة في (مفتاح العلوم) علمًا يُحصَّل، وصنعة تضبط بقواعد منطقية. وكان حظ القرآن من (مفتاح العلوم) وشروحه، بضع شواهد قرآنية سيقت مع حشد من شواهد وأمثلة أخرى من قول البشر. ثم كان الجهد، كل الجهد، موجهًا إلى العناية بإجراء الصنعة البلاغية التي تتعلق في التشبيه – مثلاً –: ببيان أركانه وأداته ووجهه وأقسامه ومرتبته، وفي الاستعارة: بمعرفة المستعار له والمستعار منه والجامع والقرينة والتجريد والتصريح والترشيح... وفي المجاز والكناية: ببيان المعنى الأصلي والمعنى المجازي، والعلاقة وأنواعها، والقرينة مانعة أو غير مانعة

(١) السابق، ص٣٧٣، ٣٧٤.

من إرادة المعنى الأصلي. وفي البديع: بالمحسنات اللفظية وغير اللفظية وضروبها ومصطلحاتها؛ فكان أن جَمَّدوا روح البلاغة في قوالب الصنعة وأغلال المنطق، وشغلتهم الحدود والتعريفات والإجراءات، عن لمح سر البيان وذوق الأسلوب وروح النص»[١].

وكان لكلف السكاكي والرازي ومن نحا نحوهما بالتقعيد أن كثرت الأقسام كثرة بالغة، وبخاصة في علم البديع؛ لأنه علم – كما أشار السكاكي نفسه – يحتمل الإضافة بقدر اكتشاف الأشكال البنائية الكائنة في بنية اللغة[٢]، «وهذه الإضافة تشمل الظاهرة كما تشمل المصطلح؛ مما يعطي هذا العلم طاقة استيعابية لم تتوفر للعلمين الآخرين. وقد أتاحت هذه الخصيصة لرواد البحث البلاغي متابعة البنى، ورصد أشكالها السطحية؛ فانزلقوا إلى دائرة الكثرة المفرطة، بحيث يمكن القول: إنه لم يفلت منهم تركيب دون أن يوَصّفوه، ويضعوا له المصطلح الذي يتوافق مع شكليته»[٣].

ومما يؤكد كَلَفَ السكاكي بالقاعدة وبيان الأقسام: أن عمله – على امتداد القسم الثالث من كتابه (المفتاح) – لا يعدو – في الغالب – أن يكون تقعيدًا وتقسيمًا، يمثل لكل قاعدة أو قسم بمثال قرآني أو شعري، وأحيانًا ما يكون مصنوعًا، وغالبًا يذكر القاعدة أو القسم ويمثل له، دون أن يتوقف عند المثال بالتحليل أو حتى بيان موضع التمثيل، مثل قوله: «من أسباب قرب التشبيه وكونه نازلاً لدرجة أن يكون وجهه أمرًا واحدًا، كالسواد في

(١) د. عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (دار المعارف – مصر، الطبعة الثالثة، د. ت) ص١٢٩، ١٣٠.

(٢) ينظر: السابق، ص٤٣٢.

(٣) د. محمد عبد المطلب: البلاغة العربية – قراءة أخرى (الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة – مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م) ص١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قولك: هندي كالفحم، أو البياض في قولك: شهد كالثلج. أو أن يكون المشبه به مناسبًا للمشبه كما إذا شبهت الجرة الصغيرة بالكوز، أو الجزرة الضخمة المستطيلة بالفجل، أو العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة. أو أن يكون المشبه به غالب الحضور في خزانة الصور بجهة من الجهات، كما إذا شبهت الشعر الأسود بالليل، أو الوجه الجميل بالبدر، أو المحبوب بالروح.

ومن أسباب بعده وغرابته: أن يكون وجه التشبيه أمورًا كثيرة، كما في: تشبيه سقط النار بعين الديك، أو تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور، أو تشبيه نحو قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهوى كواكبه(١)

أو أن يكون المشبه به بعيد التشبيه عن المشبه؛ كالخنفساء عن الإنسان قبل تشبيه أحدهما بالآخر في اللجاج، أو البنفسج عن النار والكبر يتقبل تصور التشبيه بين الطرفين.

أو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه شيئًا وهميًّا، كما في قوله:

..... ومسنونة زرق كأنياب أغوال(٢)

(١) البيت لبشار بن برد. ديوانه، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور (وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧م) ٣٣٥/١. وينظر: أبو عمرو الجاحظ: الحيوان (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ) ٦٥/٣. وابن قتيبة: الشعر والشعراء (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ) ٧٤٧/٢.

(٢) الشطر الأول من البيت: أيقتُلني والمشرفي مُضاجعي ... والبيت لامرئ القيس. ديوانه، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) ص١٣٧. وينظر: ابن قتيبة: المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: د. سالم الكرنكوي وعبد الرحمن اليماني (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) ١٠٤٩/٢. وابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ٢٨٨/١.

أو مركبًا خياليًّا، كما في قوله:

وكـــأن محمـــر الشقيـــق إذا تصـــوب أو تصـــعد
أعـــلام يـــاقوت نشـــرْ ن علـــى رمـــاح مـــن زبرجـــد(١)

أو مركبًا عقليًّا، كما في قوله عز قائلاً: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

وكلما كان التركيب خياليًّا كان أو عقليًّا من أمور أكثر كان حاله في البعد والغرابة أقوى»(٢).

فهنا، يسوق السكاكي القسم من أقسام التشبيه، ويسوق المثال عليه، ولا يقف أمامه مبيناً جمال الصورة وبداعتها، بل لم يتلبث ليبين موضع الشاهد فيها.

ويمثل السكاكي المرشد والإمام لمن جاء بعده من البلاغيين، فقد حذوا حذوه، وساروا سيرته في التقعيد والتقسيم والتمثيل، مع إهمال الذوق وضعف التحليل إلا في القليل، فعندما قام الخطيب القزويني في القرن الثامن الهجري بتلخيص المفتاح(٣)، لم يزد على أن ذكر الأقسام والتمثيل لها

(١) البيتان للصنوبري. ديوانه، تحقيق: إحسان عباس (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م) ص٤١٦. وينظر: عبد القاهر: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر (مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة) ص١٥٩. وشهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ) ٢٨٤/١١.
(٢) أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص٣٥١، ٣٥٢.
(٣) تلخيص المفتاح مطبوع في صدر كتاب: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، د. ت.) ص١٣- ١٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بصورة مبتسرة، خالية عن التحليل، منحية للذوق والإحساس في تناول كثير من المسائل البلاغية، فبقيت قواعد البلاغة قواعد مجردة، لا تبني ذوقًا أدبيًّا، ولا تعين على تذوق الكلام البليغ.

واقرأ التلخيص من أوله إلى آخره لا تجد إلا نحو: «فالفصاحة في المفرد: خلوه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس:

فالتنافر، نحو:

غدائره مستشزرات إلى العلا ..... (١)

والغرابة، نحو:

..... وفاحمًا ومَرْسِنًا مُسَرّجا (٢)

والمخالفة، نحو:

الحمد لله العلي الأجلل (٣)»(٤).

ليس هذا فحسب، بل إنه – أحيانًا – كان يتغاضى عن التمثيل، يذكر الأقسام هكذا مجردة، مثل: قوله عند كلامه عن حذف المسند إليه وذكره: «أما حذفه: فللاحتراز عن العبث، بناء على الظاهر. أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ، كقوله:

---

(١) شطر البيت الثاني: تَضِلّ العِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ. والبيت لامرئ القيس: ديوانه، ص٤٣.

(٢) الشطر الأول من البيت: ومقلة وحاجبًا مزججا ... والبيت للعجاج. ديوانه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي (مكتبة أطلس، دمشق، د. ت.) ٣٤/٢.

(٣) البيت لأبي النجم العجلي. ديوانه، جمعه وشرحه وحققه: د. محمد أديب عبد الواحد جمران (مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ص٣٣٧. وينظر: جلال الدين السيوطي: شرح شواهد المغني (لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) ٤٤٩/١. والبغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ٣٩٠/٢.

(٤) الخطيب القزويني: تلخيص المفتاح في صدر كتاب المطول، ص١٥.

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليل[١]

أو اختبار تنبُّه السامع عند القرينة، أو مقدار تنبهه، أو إيهام صونه عن لسانك، أو عكسه، أو تَأَتِّي للإنكار لدى الحاجة، أو تعينه، أو ادعاء التعيُّن، أو نحو ذلك»[٢].

فلم يمثل إلا لقسم واحد من هذه الأقسام العشرة، وهذا فيه ما فيه من الإبهام والتعمية، وخصوصًا على المبتدئين في الدرس البلاغي؛ إذ المبتدئ يحتاج إلى الكشف والوضوح، وكما قيل: بالمثال يتضح المقال، وحتى عند التمثيل غالبًا ما يكتفي بجزء البيت الذي فيه موضع التمثيل، وهذه الطريقة لا تؤسس لتربية ملكة تذوق الكلام الجميل والاستمتاع به، فضلاً عن القدرة على إبداعه.

إن القزويني جار في تلخيصه على ما جاء في المفتاح؛ فالمفتاح تجد فيه بين الفينة والفينة لمحة بلاغية هنا، ولطيفة هناك، ونكتة هنالك.. تبل أوام التائه بين التقسيمات والتفريعات الكثيرة.

وكأن القزويني أحس بما شعرنا من الاختصار المخل في تلخيصه، فقام بشرحه في كتاب سماه (الإيضاح في علوم البلاغة) تخلص فيه من جُلّ

---

(١) الشطر الثاني للبيت: سَهرٌ دَائِمٌ وَحُزْن طَوِيلُ. وقائله غير معروف. ينظر: عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص٢٣٨. وأبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص١٧٦. وبهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م) ١٥٧/١. وأبو الفتح العباسي: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (عالم الكتب – بيروت) ١٠٠/١. وشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (دار صادر – بيروت) ٢٤٣/١.

(٢) الخطيب القزويني: تلخيص المفتاح في صدر كتاب المطول، ص٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الآفات التي أصابت كتابه (التلخيص)، ويحسب للإيضاح – أيضًا– أن القزويني حاول أن يجمع فيه بين طريقة السكاكي القائمة على التقعيد والتقسيم للظواهر البلاغية وطريقة عبد القاهر التي تجمع بين الضبط العلمي والتذوق الفني، ونجد أمثلة كثيرة على ذلك، كما في قوله: «وأما التنكير في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] فيحتمل النوعية والتعظيم، أي: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة؛ لمنعه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا، أو نوع من الحياة، وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعلم بالاقتصاص؛ فإن الإنسان إذا هم بالقتل تذكر الاقتصاص فارتدع فسلم صاحبه من القتل، وهو من القود، فتسبب لحياة نفسين»[(١)].

وقوله: «ومن أمثلة الإيجاز– أيضًا– قوله تعالى فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق؛ لأن قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أمر بإصلاح قوة الشهوة؛ فإن العفو ضد الجهل؛ قال الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودَّتي ..... (٢)

(١) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م) ص٥٨.

(٢) الشطر الثاني من البيت: ولا تنطقي في سوْرَتِي حينَ أغضبُ، وهو لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري. شعره، جمع وتحقيق ودراسة: عبد اللطيف يوسف عيسى (مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد ١٩، عدد ١١، ٢٠١٢م) ص ١٥٦. ونسبه الخالديان (أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي) لأبي الأسود الدؤلي. حماسة الخالديين «الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين»، تحقيق: د. محمد علي دقة (وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م) ص١٠١.

أي: خذ ما تيسر أخذه وتسهل، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب، أي: أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم، هذا يرجع إليه منها. وأما ما يرجع إلى أمته فدل عليه بقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف والجميل من الأفعال؛ ولهذا قال جعفر الصادق- رضي الله عنه- فيما روي عنه: أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لها من هذه الآية»(١).

ومما يؤكد أن القزويني كانت عينه على طريقة عبد القاهر في كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، تعاطيه أسلوب الموازنة الذي أكثر منه عبد القاهر، وهو ما لا نجده عند الرازي أو السكاكي.

فعبد القاهر يعقد هذه الموازنة بين عدد من الشعراء، فيقول: «وقد أردتُ أن أكتبَ جملةً من الشِّعْر الذي أنتَ ترى الشاعريْن فيه قدْ قالا في معنىً واحدٍ، وهو يَنقَسِمُ قسمين:

قَسمٌ أنتَ ترَى أحدَ الشاعرَين فيه قد أتى بالمعنى غُفْلاً ساذَجًا، وترى الآخَرَ قد أخرجَه في صورةٍ تَروقُ وتُعْجِبُ.

وقسمٌ أنتَ ترى كلَّ واحدٍ من الشاعرَين قد صَنَعَ في المعنى وصور...

وأبدأُ بالقسمِ الأول الذي يكونُ المعنى في أحد البيتين غفلًا، وفي القسم الأول: الآخَرِ مصوَّرًا مَصْنوعًا، ويكونُ ذلك إمَّا لأنَّ متأَخِّرًا قصَّر عن مُتقدِّم، وإمَّا لأنْ هُدي متأخر لشيءٍ لم يَهْتدِ إليه المتقدِّمُ، ومثالُ ذلك قول المتنبي:

(١) الخطيب القزويني: الإيضاح، ص١٦٧، ١٦٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بـئس اللَّيـالي سَـهِرْتُ مِـنْ طَرَبـي شَـوْقًا إِلى مَـنْ يَبيـتُ يَرْقُـدُها(١)

مع قول البحتري:

لَيـلٌ يُصَـادِفُنِي ومَرْهَفَـةَ الحَشَـا ضِـدَّيْنِ أَسْـهَرُهُ لَهَـا وتنامـه(٢)

... ذكرُ ما أنتَ ترى فيه في كلِّ واحدٍ من البيتين صـنعةً وتصـويرًا وأستاذية على الجملة، فمن ذلك – وهو في النادر – قول لبيد:

واكـذِبِ الـنفسَ إذا حـدَّثْتَها إنَّ صـدْقَ الـنفسِ يُـزري بالأَمَـلْ(٣)

مع قولِ نافعِ بنِ لَقيط:

وإذا صـدقتَ الـنفسَ لم تَـتركْ لهـا أَمـلاً ويأمُـلُ مـا اشْـتَهى المكـذوبُ(٤)»(٥).

ويقول الخطيب القزويني: «قول امرئ القيس في وصـف السـنان(٦) أعلى طبقة من قول الآخر:

يتـابع لا يبتغـي غـيره بـأبيض كـالقبس الملتهـب(٧)

---

(١) أبو الطيب المتنبي: ديوانه، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي (دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) ٢٢/٢.

(٢) البحتري: ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة) ٢٠٣٧/٣.

(٣) لبيد: ديوانه، (دار صادر، بيروت) ص١٤١.

(٤) جار الله الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ٢٨٥/٣. وابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ) ٣٨٦/٦.

(٥) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص٤٨٩، ٤٩٠ وص٥٠٠.

(٦) يقصد بيت امرئ القيس: حملت ردينيًّا كأن سنانه سنا لهبٍ لم يتصل بدخان

(٧) البيت لعنترة بن شداد العبسي، روي شطره الأول بلفظ: «تدارك لا يتقي نفسه». الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ص٢٣. وينظر: المرزوقي الأصفهاني: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ص٣٠٣.

لخلو الثاني عن التفصيل الذي تضمنه الأول، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا، وتصويره مقطوعًا عن الدخان، ومعلوم أن هـذا لا يقـع فـي الخاطر أول وهلة، بل لابد فيه من أن يتثبت وينظر في حال كل من الفـرع والأصل؛ حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئًا يقدح في حقيقة التشـبيه، وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة، وكذا قوله:

وكـأن أجـرام النجـوم لوامعـا ... درر نثـرن علـى بسـاط أزرق(١)

أفضل من قول ذي الرمة:

.... كأنهـا فضـة قـد مسـها ذهـب(٢)

لأن الأول مما يندر وجوده دون الثاني؛ فإن الناس أبدًا يـرون فـي الصياغات فضة قد موهت بذهب، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق»(٣).

وكان من أثر عبد القاهر ومن نحا نحوه كالزمخشري فـي الخطيـب وكتابه (الإيضاح) أن جاء الكتاب: واضح الدلالة، حسن العبارة؛ فقد تخلص

---

(١) البيت لأبي طالب الرقي. ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص١٥٩. شهـاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٢/٧. وأبو العباس أحمـد بـن يوسف التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق: إحسان عباس (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م) ص١٦٤. وبهـاء الـدين السـبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٩٣/٢. وجمال الدين بن منظور: نثار الأزهار في الليل والنهار (مطبعة الجوائب، القسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٢٩٨هـ) ص١٤١.

(٢) شطر البيت الأول: كحلاءُ في بَرَجٍ صفراءُ في نعجٍ ... ذو الرمة: ديوانه، شـرحه: عبـد الـرحمن المصطاوي (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م) ص١٣.

(٣) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٢٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من التعقيد الذي يكتنف المفتاح إلا القليل، فجاءت عباراته في غالبها: واضحة سهلة، بالإضافة إلى هذا، ازداد الدرس البلاغي عمقًا، واتسعت مسائله، فزاد الخطيب على ما عند السكاكي مباحث: الحقيقة والمجاز العقليين، والتعريف بعلم البيان، ووسع من دائرة علم البديع ومباحثه، ولعل هذا هو السر في إقبال الناس على (الإيضاح) قديمًا وحديثًا، فلم ينل كتاب في البلاغة ما ناله هذا الكتاب من العناية وانكباب الدارسين على تلقيه، والمتخصصين على دراسته وشرحه وتقديمه لطلاب العلم، ولم ينل كتاب مثل ما نال كتابه الأول (التلخيص) من شروح في القديم؛ ومن ثم يمكن القول: انبنت البلاغة قديمًا – وما زالت – تبنى حتى عصرنا على جهود الخطيب، والخطيب بنى بلاغته – كما قلت – على السكاكي ومن قبله عبد القاهر والزمخشري والفخر الرازي وغيرهم.

وبالرغم من هذا النجاح الذي حققه الخطيب فإن التقسيمات والتفريعات زادت في كتابيه عما كانت عليه في مفتاح السكاكي.

إن البلاغيين منذ الخطيب إلى اليوم فيما يخص: الأقسام البلاغية، واتباع طريقته في التحليل والتوجيه.. ينهجون نهجه، وبخاصة في العصر الحديث، وزاد المحدثون التحليل البلاغي عمقًا، فحاولوا وهم يمثلون للأقسام البلاغية استقصاء جوانب الصورة في المثال، وإن كانوا تخففوا من هذه الأقسام قليلاً، وأعادوا لمقياس الذوق بعض ما فقده، ولكن هذا بدرجات، فمنهم من ظلت نكهة الخطيب في كتابته، كالدكتور بدوي طبانة الذي يقول: «وقال الشاعر:

وصاعقة في كفه ينكفي بها   على أرؤسِ الأعداء خمسُ سحائب[(١)]

استعار (الصاعقة) لنصل السيف؛ لتشابههما فيما يوقعان من أذى على ما ينزلان عليه، ...، وكذلك استعار لفظ (السحائب) لأصابعه؛ لتشابههما في الخير والجود، والمستعار له في الأول وهو نصل السيف، والمستعار له في الثاني وهو أصابعه، كل منهما محقق حسًّا ....، حذف من كل منهما المشبه، وصرح بلفظ المشبه به؛ ولذلك تسمى ... وما أشبهها (تصريحية)، وقد تسمى– أيضًا – (تحقيقية) لأن المستعار له في كل منهما محقق حسًّا»[(٢)].

فكل ما فعله هو التمثيل للاستعارة التصريحية، وما زاد على أن أجرى الاستعارة، ولم يتطرق إلى بلاغتها وجمالها، وما زاد على الأقدمين من متأخري البلاغيين سوى أن سهلت اللغة، وأصبحت مفهومة.

وهذه الطريقة هي المتبعة في الكتاب من أوله إلى آخره إلا في القليل، نجد نكتة هنا، ولطيفة هناك.

لكن هناك من تطور بتحليله، كالدكتور عبد الرحمن حبنكة، فعند تناوله للفن البديعي (ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلافه مع المعنى) ذكر أمثلة وحللها، منها: قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وحلله قائلاً: «جاء في هذا النص تلاؤم بين

---

(١) البيت للبحتري: ديوانه، ص١٧٩. ويُنظر: الخالديان: حماسة الخالديين، ص ٢٤. وأبو هلال العسكري: ديوان المعاني (دار الجيل، بيروت) ١/ ١١٧.

(٢) د. بدوي طبانة: علم البيان – دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، د. ت.) ص ١٨٣، ١٨٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اللفظ المختار والمعنى المراد به؛ إذ جاء فيه التفريق بين ما يدل على فعل الحسنات وما يدل على فعل السيئات، فاختير فيه فعل (كسب) الذي يستعمل في مكاسب الحياة الدنيا من مال وغيره مرادًا به فعل الحسنات والخيرات؛ لأنها ثروة يدخرها الإنسان، فتنفعه في دنياه وأخراه، وإن شق فعلها على نفسه. واختير فيه فعل (اكتسب) الذي فيه معنى تكلف حمل العبء مرادًا به فعل السيئات والمعاصي والآثام؛ لأنها أوزار وأحمال ثقيلة تأتيه بأنواع من العذاب في دنياه وأخراه، وإن جلبت له لذة عاجلة، وهان فعلها على نفسه»(١).

وهناك من جاء تحليله متسمًا بالعمق، فالدكتور حسن طبل يقف عند بعض النماذج، ويوسع من دائرة تحليلها، محاولاً أن يبرز جدوى الصورة وفاعليتها وجمالها من خلال سياقها اللغوي والعام، فمثلاً يتناول الصورة التشبيهية في قول الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ﴾ [الرعد: ١٤]؛ فيقول: «إننا قد نقول في تفسير تلك الآية: إنها تعبر عن خيبة هؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله آلهة لا تعود عليهم – إذ يدعونها – بأي نفع، ولكن ينبغي أن نكون على وعي بأن مثل هذا التفسير لا يحيط بكل ما تشعه الصورة القرآنية من دلالة، فتفسيرنا للآية أو شرحنا للبيت الشعري إنما هو – فحسب – تعبيرٌ عن الفكرة أو مجرد الغرض فيها، أو لنقل – بعبارة أخرى –: إن التفسير أو الشرح إنما هو تجريد وابتسار للمعنى؛ إذ إن المعنى في أي صورة فنية هو كالروح المتجسدة فيها، فهو لا يدرك إلا عن

(١) د. عبد الرحمن حبنكة: البلاغة العربية – أسسها، وعلومها، وفنونها (دار القلم، دمشق – والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م) ٢/٥٢٢، ٥٢٣.

طريق الخبرة بجمالياتها الخاصة في أشكالها التعبيرية وعناصرها الحسية الخاصة، فهو في تلك الصورة القرآنية ما يستشعره وجدان المتلقي عند تخيله صورة ذلك الإنسان الذي بلغ به العطش مبلغه، فراح يبسط كلتا يديه إلى الماء دون جدوى، فالماء منه جدّ قريب، وهو إليه شديد الحاجة، وهو يعاني من أجله أشد العناء، ولكنه لا يبوء – على الرغم من ذلك كله – بغير الفشل والحرمان.

فتلك الصورة القرآنية حافلة بالمعاني، ثرية بالدلالات التي لا تتمثل إلا عن طريق التأمل في شكلها اللغوي الخاص، ولنتأمل السر في إيثار التعبير عن بسط الكفين باسم الفاعل (باسط) دون الفعل يبسط؛ فالتعبير بالفعل يفيد تجدد البسط والقبض؛ مما قد يتصور معه وصول القليل من الماء إلى فم العطشان، أما بالاسم ففيه تلويح بخيبة السعي؛ إذ يفيد ثبات الكفين عند بسطهما، ولزومهما معًا تلك الهيئة الثابتة التي تمتد فيها الأصابع على استقامتها وتتسع الفروج بينهما، وفي هذا إيحاء بالحرمان الذي ينتظر هذا الواهم الضال الذي يدعو آلهة من دون الله، كما أنه – من جهة أخرى – تجسيد لصورته وقد سول له وهمه أن تلك الآلهة سوف تحقق له النفع فوقف إزاءها، ورفع يديه داعيًا إياها، وهي لا تعي ولا تسمع، فضلاً عن أن تضر أو تنفع.

وإذا كان بسط العطشان كفيه هو (إلى الماء) فإننا دون شك سوف نتخيل صورته وقد حنى ظهره وشخص ببصره إلى أسفل؛ حيث الماء الذي تتعلق نفسه به، وهي انحناءة حسية تجسد لنا تلك الانحناءة المعنوية لدى هذا الكافر الأثيم الذي أهان نفسه، وأذل آدميته؛ فدعا لنفعه من هو (دون الله) بل ما هو دونه في مراتب المخلوقات.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وغاية بسط الكفين إلى الماء لدى العطشان هي فقط (ليبلغ فاه) وهي تجسد حرمانه التام حتى من أقل القليل من الماء ذلك الذي لا يروي ظمأ ولا يكاد ينفع غلة، وهذا الحرمان هو ما يقرره بحسم ذلك النفي المؤكد (وما هو ببالغه)، وفي ذلك تجسيد للخيبة وضلال السعي لدى هؤلاء الواهمين الضالين»(١).

فانظر هذا التحليل، تجد أنه يتسم بالعمق، ولا يكتفي بمجرد بيان الصورة، لكن يتوسل بالمعطيات اللغوية لإبراز جمالياتها وإيحاءاتها.

لكن هذا لا يتعدى نماذج معدودة، فلم يكثر كثرة بحيث يمثل ظاهرة، فتجد طريقة القدماء في ذكر الأقسام والتمثيل وبيان الشاهد في المثال ماثلة دون تعمق الصورة وإبراز جمالياته، ودون الإفادة من المعطيات اللغوية المحيطة بها في الكشف عن إيحاءاتها(٢).

وأريد القول: إننا لا نعيب على البلاغيين اهتمامهم بوضع القواعد وبيان الأقسام؛ فإن التقعيد والتقسيم مما يعين على استقصاء الظاهرة وتحديدها، وبخاصة في الدراسات التطبيقية على فنون القول المختلفة، وقد كان سبب حرص البلاغيين على التقعيد وبيان الأقسام أنها تساعد الطالب على الاستيعاب والفهم، ويصبح قادرًا على التعبير الحسن والنظم الرائق(٣).

كما لا نعيب أن تتحول البلاغة على أيديهم إلى العلمية المنهجية عن طريق التقعيد والتقسيم؛ «لأنه شرف للبلاغة أن تكون علمًا من أن تكون بحوثًا مبعثرة، لا تلتزم بخطة أو منهج يضبط حركتها، فلا نتصور أن تعاب

(١) د. حسن طبل الصورة البيانية في التراث البلاغي (مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٥م) ص١٠٤-١٠٦.
(٢) يكاد لا يخلو كتاب من كتب البلاغة الحديثة من هذه الظاهرة، عدد من النماذج يتم تحليلها، ثم بقية النماذج عبارة عن مجرد أمثلة تساق للتدليل على الأقسام، أحيانًا يقوم الكاتب ببيان موطن الشاهد ويشرحه، وقد يغضي عن ذلك في أحايين أخرى.
(٣) ينظر: د. أحمد مطلوب: مناهج بلاغية (وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م) ص٣٤.

دراسة ما بأنها أخذت ثوبًا علميًّا منظمًا، بل الأوفق أن تكون صفة مدح لا ذم، وهو ما تصبو إليه أي دراسة قديمة أو جديدة»[١].

لكن ما نعيبه عليهم هو الاكتراث الشديد بالتقعيد والتقسيم وإهمال الجانب التطبيقي والتحليل وإبراز جماليات الأسلوب البلاغي، وأن تصبح المقاييس البلاغية هي المرشد الأساسي في الاحتراز من الخطأ، والتفنن في القول، والحكم على جودة الكلام.

وللحق، فإن كثيرًا من الدراسات النقدية التطبيقية التي أنجزها باحثون معاصرون اهتمت بهذا الجانب، بعدما وظفت الأدوات البلاغية التي أنجزها البلاغيون عبر تاريخ البلاغة العربية، واستثمرتها في إبراز دلالات النصوص وجمالياتها، ولكن – للأسف – لم يحاول البلاغيون المعاصرون الإفادة من هذه المحاولات التطبيقية، ولم يفيدوا من الوسائل التكميلية للأدوات البلاغية التي توسل بها الباحثون في دراساتهم تلك، والتي هي نتاج النظريات النقدية الحديثة والمعاصرة؛ كالأسلوبية وعلم النص.. لم يفيدوا من هذا في صياغة البلاغة صياغة جديدة.

وقد أدى حرص البلاغيين المتأخرين على التقعيد والإكثار من التفريعات والتقسيمات إلى اتهام البلاغة العربية بالعديد من المسالب؛ بعضها واقعي وصحيح، وبعضها الآخر مبالغ فيه، ومن أبرز هذه التهم:

١- المعيارية، أي: أن المقياس في البلاغة العربية هو الأساس، والقاعدة هي الأصل، وقَلَّتْ في مقابل ذلك التحليلات التطبيقية للنصوص

(١) د. محمد عبد المطلب: البلاغة العربية – قراءة أخرى، ص٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأدبية، وأصبحت القاعدة البلاغية هي المرشد في الاحتراز من الخطأ والتفنن في القول والحكم على جودة الكلام.

وهذه التهمة صحيحة في بعض الأحوال لا كل الأحوال؛ لأن التحليلات لم تغب عن البلاغة المتأخرة تمامًا، وكذلك لم يتوارَ الذوق كلية؛ حتى عند السكاكي رائد مدرسة التقعيد الذي يقيم للذوق اعتباره على المستوى التنظيري على الأقل، فهو يجعل «ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم، فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أخر، وإلا لم يحظ بطائل مما تقدم وما تأخر»(١).

ويقول في موضع آخر: «ومُدْرِكُ الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا»(٢).

ويقول كذلك: «وإذ قد وقفت على البلاغة، وعثرت على الفصاحة المعنوية واللفظية، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين، ما عسى يسترها عنك، ثم إن ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدركَ مَنْ تُحُدّوا بها، وهي قوله - علت كلمته - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]»(٣).

ولكن، إذا كان السكاكي يضع الذوق في هذه المنزلة الرفيعة فلم خفت بجوار التقعيد والتقسيم عنده؟

---

(١) أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص ٣٠١.
(٢) السابق، ص ٤١٦.
(٣) السابق، ص ٤١٧.

إن السكاكي في سبيل تحقيق هدفيه الكبيرين من التأليف في البلاغة – وهما: التحرز من الخطأ في لغة العرب، والوقوف على وجه الإعجاز في القرآن الكريم – رأى ضرورة إقامة البلاغة على أصول علمية، وقوانين عقلية تضبط مسائلها، وتعين الدارس على تحصيلها وتطبيقها، بعد أن شاهد فساد الألسنة والطباع، وغلبة العجمة في التعامل اللغوي بين الناس من ناحية، وحاجة التراث البلاغي إلى من يخدمه ويجمع متفرقاته، ويمهد قواعده، ويرتب شواهده، وينجو به من الخسف والضيم من ناحية أخرى(١).

ثم إن اهتمام السكاكي بالتقعيد وضبط الأقسام يتفق ورؤيته التعليمية المبنية على تزويد طالب علوم الأدب بالمعيار الذي يحفظ لسانه من الخطأ، والذي يضبط العملية النقدية بالدليل والحجة(٢).

ولعل هذا ما دعا السكاكي – بالرغم من رفعة منزلة الذوق عنده على المستوى التنظيري – إلى إهماله على مستوى التطبيق، فلم «يلتفت إلى طبيعة الأدب التي لا تقبل صرامة القواعد العلمية التي تستوجب الالتزام بها بعد إقرارها»(٣)، لقد تغلغلت المعيارية في بلاغة السكاكي، لكن لا ينبغي النظر إلى هذه المعيارية بعين الريبة على الدوام؛ فلربما يكون الاهتمام بالقاعدة وبيان الأقسام يهدفان إلى رفع مستوى الأداء الفني، وحفظ الذوق من الزلل والوقوع في الخطأ.

٢- تداخل المباحث البلاغية: وذلك جاء نتيجة كثرة التقسيمات والتفريعات، فتداخلت مباحث بلاغية كثيرة فيما بينها، وأسوق بعض الأمثلة:

---

(١) ينظر: د. يوسف رزقة: القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي (مجلة العلوم الإسلامية، غزة، المجلد السابع، العدد الأول، يناير ١٩٩٩م) ص ١٧٣.
(٢) ينظر: السابق، ص ١٧٤.
(٣) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أ- تداخل أسلوب القلب مع التشبيه المقلوب، فمثلاً يقول الخطيب في القلب: «ومنه[١] القلب، ....، ورده مطلقًا قوم، وقبله مطلقًا قوم منهم السكاكي، والحق أنه إن تضمن اعتبارًا لطيفًا قبل وإلا رد.. أما الأول فكقول رؤبة:

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه[٢]

أي: كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه، فعكس التشبيه للمبالغة.

ونحوه قول أبي تمام يصف قلم الممدوح:

لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ وَأَرْيُ الجَنَى اشتَارَتْهُ أيدٍ عواسِلُ[٣]»[٤]

وهذان البيتان – كما هو بين – من التشبيه المقلوب، وقد ذكر السبكي عند كلامه على التشبيه المقلوب أنه «يمكن أن يجعل منه قوله:

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه .....»[٥].

(١) أي: من خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر.

(٢) رؤبة بن العجاج: ديوانه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي (دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، د.ت) ص٣.

وورد الشطر الأول من البيت في الديوان هكذا: وبلدٍ عاميةٍ أعمارُهُ

(٣) الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ٥٨/٢.

وأرى الجنى، أي: العسل المجنى. اشتارته، أي: جنته. والأيدي العواسل: العارقة بجنيه.

(٤) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) ص٨٥، ٨٦.

(٥) بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح، ٨٦/٢.

وذلك أن الأصل: أن يشبه مداد القلم بلعاب الأفاعي في قوة التأثير، ولكنه عكس فشبه لعاب الأفاعي بمداد قلمه على سبيل التشبيه المقلوب؛ للمبالغة في شدة تأثيره.

ب- تداخل الكناية مع التعريض، وقد تناولت هذه المسألة في بحث لي بعنوان (تطور المصطلح البلاغي والنقدي في التراث العربي)[١].

وقد أدى هذا التداخل بين كثير من المباحث البلاغية إلى تكرار النماذج الممثل بها للظواهر البلاغية؛ مما يصيب دارس البلاغة بالملل والسآمة.

٣- كثرة المصطلحات: المصلحات البلاغية كثرت كثرة فاقت بها مصطلحات علم النحو، وقد تناولت هذه المسألة – أيضًا – في بحثي المشار إليه قبل قليل (تطور المصطلح البلاغي والنقدي في التراث العربي).

وكثرة المصطلحات تصيب الدارس بالحيرة والتشتت، وتوقعه في العنت؛ إذ من الصعب حصر هذه المصطلحات وملاحقتها وحفظها.

٤- الشكلانية: نظرًا لاهتمام البلاغيين بالتقعيد والتقسيم، اتُّهِمَتِ البلاغة العربية بأنها شكلانية جمالية، بمعنى أنها تهتم بالشكل على حساب المضمون؛ فقد هيأت كل طاقاتها لدراسة الشكل: الصياغة اللغوية، دون

(١) نشر هذا البحث ضمن أبحاث المؤتمر العلمي الأول "قضايا التجريب في الأدب والنقد" المنعقد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ٢٠١٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اهتمام بدراسة المعنى، مع كونه أحد العناصر الأساسية في عملية الإبداع الفني(١).

والحق أن هذا يصدق على البلاغيين المتأخرين؛ فالمطالع لكتبهم يجد اهتمامهم قد انصب على طرق الصياغة أكثر من اهتمامهم بالمعنى، والنماذج التي سقناها سلفًا من كتبهم خير دليل على ذلك.

(١) ينظر: أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأدبية (مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م) ص٣٨. وعبد المالك مرتاض: قضايا الشعريات (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم، قسنطينة، الجزائر) ص٢٠.

ثانياً- النظرة الجزئية:

يرى كثير من الباحثين المعاصرين أن البلاغة العربية قائمة على النظرة الجزئية، ووقوفها عند حدود الجملة، أو ما هو في حكمها، بمعنى: أنها تتعامل مع جزء من النص دون النظر إليه كله، فمجرد أمثلة تساق للتدليل قاعدة بلاغية، ويكون هذا المثال – إذا كان من القرآن – جزء آية، أو آية، وقلما يتجاوز الآية إلى أكثر منها، ويكون – إذا كان من الشعر– جزء بيت، أو بيتًا، وقلما يتجاوز البيت إلى أكثر منه، ولم يتناول البلاغيون – قديمًا وحديثًا – نصوصًا كاملة إلا نادرًا؛ هذا على مستوى التطبيق في كتب البلاغة، لكن على مستوى التنظير فواحد كعبد القاهر عندما وضع نظريته للنظم كان ينظر إلى «معرفة الكلامِ جملةً»(١)، فالنظم لا ينظر إلى الكلمات في جملة فقط، بل الكلمات المكونة لنص كامل، فعبد القاهر – في رأيي – كان على وعي بأن النظم يشمل النص كله؛ ولذا نراه في موضع آخر يقول: «ولم أزلْ منذُ خَدمْتُ العِلْمَ أنظرُ فيما قاله العلماءُ في معنى "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة"، وفي بيانِ المَغْزى من هذه العباراتِ، وتفسيرِ المرادِ بها، فأَجِدُ بعضَ ذلك كالرَّمز والإيماءِ، والإشارةِ في خفاءٍ، وبعضَه كالتنَّبيه على مكانِ الخبيء ليُطْلَبَ، ومَوْضعِ الدفينِ ليُبحَثَ عنه فيُخْرَج، وكما يُفتَحُ لكَ الطريقُ إلى المطلوبِ لتَسْلُكَه، وتُوضَعَ لك القاعدةُ لتَبْنيَ عليها. ووجدتُ المعوَّلَ على أنّ هاهنا نظمًا وترتيبًا، وتأليفًا وتركيبًا، وصياغةً وتصويرًا، ونَسْجًا وتَحْبيرًا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هيَ مَجازٌ فيه، سَبيلُها في الأَشياءِ التي هي حقيقةٌ فيها، وأنه

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما يَفْضُلُ هناك النظْمُ النظمَ، والتأليفُ التأليفَ، والنسجُ النسجَ، والصياغةُ الصياغةَ، ثم يَعْظُمُ الفضلُ، وتَكثُر المَزِيَّةُ، حتى يَفوقَ الشيءُ نظيرَه والمجانِسَ له درجاتٍ كثيرة، وحتى تَتفاوتَ القِيمُ التَّفاوُتَ الشديدَ، كذلك يَفْضُلُ بَعْضُ الكلام بَعضًا، ويتَقدَّمُ منه الشيءُ»(١).

فمصطلحات: النظم والترتيب، والتأليف والتركيب، والصياغة والتصوير، والنسج والتحبير، كذا عبارات: وتُوضَع لك القاعدةُ لتَبْنيَ، يَفْضُلُ بَعْضُ الكلام بَعضًا، فهذه المصطلحات والعبارات لا تحتمل أن يكون مقصود عبد القاهر بها الجملة الواحدة، فمعطياتها ودلالاتها أوسع كثيرًا من أن يكون المقصود بها الجملة، بل يقصد بها النص كاملاً؛ ولذا يقول: «واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أن يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ، فبتوخِّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه هاهنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِه هناك. نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاءَ مختلفةٍ»(٢).

ومما يؤكد أن نظرة عبد القاهر كانت إلى النص كاملاً، أن وضع نظريته في النظم لإثبات إعجاز القرآن الكريم، فهو ينظر إلى النص القرآني جملة.

---

(١) السابق، ص٣٤-٣٥

(٢) السابق، ص٩٣.

لكن، عند التطبيق لم نجد عبد القاهر له تطبيقًا على النص القرآني جملة، ولا حتى نصوص منه: سورة أو حزب أو جزء، ولم نجد له تطبيقًا على نص شعري: قصيدة أو ديوان، ولا حتى على نص نثري، بل مجرد نماذج يسوقها على ظواهر بلاغية اكتشفها، وأراد التدليل عليها، ولا تكاد هذه النماذج تتجاوز الآية القرآنية والبيت الشعري والجملة النثرية إلا نادرًا، وانظر – إن شئت – كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

وجاء متأخرو البلاغيين فانقلبت نظرتهم إلى البلاغة نظرة جزئية صرفة، فلم يحاولوا النظر إلى النص نظرة كلية، وللحق هذه النظرة سائدة في البلاغة العربية، فلم يحاول البلاغيون عامة أن يتناولوا نصًّا كاملاً لتحليله تحليلاً بلاغيًّا، ولم ينظروا إلى الصور والأساليب البلاغية في ضوء سياقها اللغوي، وأقصى ما تجده يشير إلى حضور النص في أذهان البلاغيين بعض مباحث تتردد هنا وهناك في كتبهم، مثل: مبحث الإيجاز والإطناب، ومبحث الربط بين الجمل في الفصل والوصل، وجلّ اهتمامهم بعد ذلك تركز حول بلاغة الجملة بوصفها أكبر وحدة عندهم قابلة للتحليل، أما النص فلم يولوه اهتمامهم، وخصوصًا متأخري البلاغيين الذين أقول – وبثقة – إنهم هم الذين ورطوا البلاغة في النظرة الجزئية؛ وذلك بعدم استثمارهم لمقولات أسلافهم البلاغيين، وعدم إفادتهم من مقولات علماء التفسير وأصول الفقه وغيرهم.

نعم، يحتاج النص الأدبي، أيُّ نص، للوصول إلى دلالاته ورصد جمالياته إلى عملية تفكيكية؛ فهذه العملية – من غير شك – تعين على إدراك أسرار اللغة وروعة أساليبها المختلفة، لكن يجب أن تعقبها عملية تجمعية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لكن، لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن هناك من نظر للنص جملة من أسلافنا، وبخاصة الذين اهتموا بقضية الإعجاز، ولعلي أذكر محاولتين في هذا الشأن أدلل بهما على قولي هذا: محاولة الخطابي في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، والبقاعي في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

فالخطابي نظر إلى القرآن جملة، ورصد خصائصه البلاغية المعجزة التي تشمل كلامه من أوله إلى آخره، وتلك نظرة كلية، فمثلا يقول عند بحثه عن علة البلاغة القرآنية المعجزة: «فأَما من لم يرض من المعرفة بظاهر السِّمة دون البحث عن باطن العلة، ولم يقنع في الأَمر بأَوائل البرهان حتى يستشهد لها دلائل الامتحان، فإنه يقول: إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حس السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الأَلْسُن على أنه كلام لا يشبهه كلام، وتَحْصَرُ الأَقوال عن معارضته، وتنقطع به الأَطماع عنها، أَمر لا بد له من سبب، بوجوده يجب له هذا الحكم، وبحصوله يستحق هذا الوصف. وقد استقرينا أوصافه الخارجة عنه، وأسبابه النابتة منه، فلم نجد شيئًا منها يثبت على النظر، أو يستقيم في القياس، ويطَّرد على المعايير، فوجب أَن يكون ذلك المعنى مطلوبًا من ذاته، ومستقصًى من جهة نفسه ؛ فدل النظر وشاهد العِبر على أَن السبب له، والعلة فيه أَن أَجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية؛ فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرَّسْلُ. وهذه أَقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه أَلبتة.

فَالقسم الأول أَعلى طبقات الكلام وأَرفعه، والقسم الثاني أَوسطه وأَقصده، والقسم الثالث أدناه وأَقربه؛ فحازت بلاغاتُ القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصةً، وأَخذت من كل نوع من أنواع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة. والجزالة والمتانة تعالجان نوعًا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره؛ ليكون آية بينة لنبيه، ودلالة له على صحة ما دعا إليه من أمر دينه»[١].

ويقول أيضًا: «وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأَما أَن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأَنه جاءَ بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني»[٢].

---

(١) الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام (دار المعارف، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م) ص٢٥، ٢٦.
(٢) السابق، ص٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي هذين النصين ينظر الخطابي إلى القرآن نظرة كلية لا جزئية، فهو يرصد الخصائص البلاغية الشاملة للنص القرآني، وهي أن هذا النص وصل إلى النهاية في البلاغة؛ لأنه يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة وصفات: فصاحة اللفظ، وحسن النظم، وصحة المعاني.. في آن واحد، لا يتخلف هذا في أي موضع منه، فأيما وضعت يدك على جملة منه، أو آية أو بضع آيات وتأملتها وجدت صفتي الفخامة والعذوبة متلازمتين، وهذا ما لا يستطيع تحقيقه بليغ مهما أوتي من قدرة على الإبداع؛ وذلك لأن البشر «علمهم لا يحيط جميع أسماءِ اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أَفهامهم جميع معاني الأَشياء المحمولة على تلك الأَلفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأَفضل عن الأَحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله»[(١)].

ومحاولة البقاعي أشد وضوحًا، فهو قد اتبع طريقة في تحليل النص القرآني تقوم على ركيزتي التفكيك والتجميع، لكن الطريف والرائع في طريقته أن هاتين الركيزتين جاءتا متجاورتين في العرض، فقد حلل الآية وأوجد الروابط بين كلماتها وجملها، ثم تناول التناسب بين الآية والآية، ثم ارتقى ليثبت التلاؤم والتناسب بين السورة والتي تليها، مارس ذلك على النص القرآني كله؛ فانتهى إلى أن هذا النص – على طوله – وحدة واحدة. والبقاعي[(٢)] بهذا سبق بقرون عديدة نظريات علم النص فيما يعرف بـ "التماسك النص".

---

(١) السابق، ص٢٦، ٢٧.

(٢) يُنْظَر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، [د. ت]).

ثالثاً- المنطقية وجفاف اللغة:

من مآخذ بعض الباحثين على البلاغة العربية تأثرها بالمنطق الأرسطي؛ فيرون أن هذا المنطق القائم على مبدأ الحد والاستدلال هو الأساس المنهجي الضابط لتصنيف مباحث البلاغة العربية بتقسيماتها المختلفة(١).

لكن هؤلاء الباحثين اختلفوا حول حجم هذا التأثر؛ فيرى طه حسين وأمين الخولي – مثلاً – أن التأثر كان كبيرًا جدًّا(٢).

ويرى إبراهيم وزغلول سلام – مثلاً –: أن التأثير كان محدودًا للغاية(٣).

وفضلاً عن هؤلاء الباحثين، فقد رأى بعض آخر، مثل: فضل حسن عباس وشفيع الدين السيد: أن البلاغة العربية لم تتأثر بتاتًا بالمنطق الأرسطي، وليس لها نزوع عقلي مطلقًا(٤).

---

(١) راجع: سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية – آفاق جديدة (مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م) ص٧٠.

(٢) راجع: د. طه حسين: البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر (المكتبة العلمية، بيروت [د.ت]) ص١٤، وأمين الخولي: مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب (دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م) ص١٥٥-١٥٧.

(٣) راجع: إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٠) ص٤٠٣، ٤٠٤. ود. محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد إلى آخر القرن الرابع الهجري (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، [د.ت]) ص٣٤٥، ٣٥٥.

(٤) راجع: د. فضل حسن عباس: البلاغة المفترى عليها (دار النور، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م) ص٢٢٢. ود. شفيع الدين السيد: فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو (دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م) ص٢٢٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأقول: إن البلاغة – بوصفها علمًا – تتعامل من الفن القولي؛ لذا لم يكن للبلاغيين المتقدمين منذ الجاحظ وحتى الزمخشري نزوع عقلي أو منطقي عند تناولهم للقضايا البلاغية إلا بما يخدم هذه القضايا؛ ومن ثم جاءت اللغة في كتابات هؤلاء المتقدمين لغة تجمع بين العلمية والأدبية، واضحة سهلة.

انظر – مثلاً – الفراء – وهو يؤسس لفن بلاغي – يقول: «وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ...﴾ [البقرة: ١٧].. فإنما ضرب المثل – والله أعلم – للفعل لا لأعيان الرجال، وإنما هو مَثَل للنفاق فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، ولم يقل: الذين استوقدوا. وهو كما قال الله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. وقوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، فالمعنى– والله أعلم –: إلا كبعث نفس واحدة، ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعًا، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، أراد القِيمَ والأجسام، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] فكان مجموعًا؛ إذ أراد تشبيه أعيان الرجال، فَأَجْرِ الكلام على هذا. وإن جاء كتشبيه جمع الرجال موحَّدًا في شعر فأجِزْهُ. وإن جاء كالتشبيه للواحد مجموعًا في شعر فهو أيضًا يراد به الفعل فأجزه، كقولك: ما فِعْلك إلا كفعل الحَمِير، وما أفعالكم إلا كفعل الذِّئب فابنِ على هذا، ثم تُلْقِي الفعلَ فتقول: ما فعلك إلا كالحَمِيرِ وكالذئب»[١].

انظر إليه وهو يضع المعيار البلاغي للتشبيه الذي يراد به المعاني، والتشبيه الذي يراد به الأشخاص، وأن الأصل إفراد المشبه به للأول،

---

(١) معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين (دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى، د.ت) ١/ ١٥.

وجمعه للثاني إذا كان المقصودون جمعًا، تقرأ قوله، فلا تحس إلا بلغة متدفقة واضحة سهلة على الفهم، بعيدة عن التعقيد، خالية عن النزوع المنطقي، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا.

واقرأ للجاحظ – وهو يقرر وجوب انتخاب الكلمة للسياق، والبعد عن الكلمات المتنافرة – يقول: «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر(١)

ولما رأى من لا علم له أن أحدًا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتعتع ولا يتلجلج، وقيل لهم: إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن، صدقوا بذلك...

وأنشدني أبو العاصي قال: أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى:

وبعض قريض القوم أولاد علة ... يكد لسان الناطق المتحفظ(٢)

وقال أبو العاصي: وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي:

وشعر كبعر الكبش فرق بينه ... لسان دعي في القريض دخيل(٣)

---

(١) البيت منسوب إلى. راجع: أبو البقاء الدميري: حياة الحيوان الكبرى (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ) ٢٤٣/٢. والجاحظ: الحيوان، ٤٣/٢. وجار الله الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ١/ ٣١٦.

(٢) ينظر: أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ)، ٧٥/١. والخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي (دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة) ١٦٤/١.

(٣) ينظر: أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٥/١. وأبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ٢٥٧/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما قول خلف:

وبعــض قــريض القــوم أولاد علــة

فإنه يقول: إذا كان الشعر مستكرهًا، وكانت ألفاظ البيت من الشــعر لا يقع بعضها ملائمًا لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العــلات. وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيًّا موافقًا، كان على اللســان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة.

قال: وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخــارج، فــتعلم بذلك أنه قد أفرغ واحدًا، وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللســان كمــا يجري الدهان.

وأما قوله: "كبعر الكبش"، فإنما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقًــا غير مؤتلف ولا متجاور.

وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراهــا متفقــة ملسًــا ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مســتكرهة، تشــق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبــة مواتيــة، سلســة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كــأن الكلمة بأسرها حرف واحد»[1].

فإنك تقرأ لغة أدبية سلسة، يستعين في تبيين الضابط البلاغي بالقول الشعري ذاته، فمن يقرأ لا يحس جفافًا، ولا تدركه الملالة.

(١) أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، ص٧٤-٧٦.

واقرأ – كذلك – للرماني تقعيده للتشبيه، يقول: «التشبيه على وجهين: تشبيه بلاغة، وتشبيه حقيقة؛ فتشبيه البلاغة كتشبيه أعمال الكفار بالسراب. وتشبيه الحقيقة، نحو: هذا دينار كهذا الدينار، فخذ أيهما شئت. ونحن نذكر بعض ما جاء في القرآن من التشبيه، وننبه على ما فيه من البيان بحسب الإمكان، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].. فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قيل: يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغًا، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمآن أشد حرصًا عليه وتعلق قلب به. ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار – نعوذ بالله من هذه الحال – وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة»(١).

فهو يقرر الضابط البلاغي، ويضع القاعدة بأسلوب سهل، ثم هو لا يترك التمثيل لها، ثم هو يلقي بالمثال موغلاً فيه بالتحليل الرائق للصورة، منبهًا على ما فيه من مزايا بلاغية أخرى، وهذا ما نفتقده عند المتأخرين، إلى أن جاء العصر الحديث فبدت محاولات للعودة بالبلاغة إلى هذا السمت.

هذا هو الأصل في كتابات متقدمي البلاغيين، إلا ما كان من بعض العلماء المتأثرين بمنطق اليونان وأرسطو كقدامة بن جعفر الذي اجتهد في وضع الحدود والتعريفات لكل لون يتناوله، وشرح هذه الحدود، وإخراج

(١) النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، حققها وعلق عليه: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام (دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، [د.ت.]) ص٨٠-٨٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحترزات، وترددت على لسانه كثير من مصطلحات علم المنطق، وبدت النزعة العقلية في ملاحظاته البلاغية واضحة، فصارت لغته لغة علمية فيها الكثير من الصرامة.

«لقد تأثر قدامة... بالثقافات العقلية التي كانت سائدة في عصره، والتي تتلمذ عليها، وأخذ منها، ففي البصرة وفي القرن الثالث الهجري التقت الثقافات المختلفة التقاء فكريًّا على نحو رائع، ونشأت طبقة المثقفين الذين تثقفوا على هذا الفكر الإنساني، وكان في مقدمتهم المعتزلة الذين رجعوا إلى المنطق اليوناني، وقرأوا فلسفة أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان، وترجموا آراء الأمم الأخرى في البيان ومناهجه، كما ترجموا كتابي (الخطابة) و(الشعر) لأرسطو إلى العربية؛ فالشعر ترجمه مختصرًا الكندي والخطابة ترجمه إسحاق بن حنين... وكان متكلمو المعتزلة – بتضلعهم من الفلسفة اليونانية – أصحاب آراء كثيرة في النقد والبيان. ومن البدهي أن يقرأ قدامة ابن البصرة كل هذه الثقافات، وأن يتأثر بها، وقد أفاد من كتابي أرسطو في (الخطابة) و(الشعر)»[(١)].

ولعلي أسوق مثالاً يدلل على النزعة العقلية عند قدامة، وعلمية اللغة وصرامتها، فهو يسوق تقسيمات للتشبيه، يقول: «وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن، فمنها:

أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة، كما قال امرؤ القيس:

(١) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي (دار الكتب العلمية، بيروت) مقدمة المحقق، ص٨.

لـه أيطَـلا ظـبيٍ وسـاقا نعامـةٍ وإرخـاءُ سـرحانٍ وتقريـبُ تتفـلِ[١]

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء، وذلك أن مخرج قوله: لـه أيطلا ظبي، إنما هو على أن له أيطلين كأيطلي ظبي، وكذا سـاقين كسـاقي نعامة، وإرخاء كإرخاء السرحان، وتقريب كتقريب التنفل.

ومنها: أن يشبه شيئًا بأشياء في بيت أو لفظ قصيـر، وذلك كما قـال امرؤ القيس:

وتَعْطـو بـرخصٍ غـيرِ شـثنٍ كأنَّـه أسـاريعُ ظـبيٍ أو مسـاويكُ إسـحلِ[٢]

ومنها: أن يشبه شيئًا في تصرف أحواله بأشياء تشـبهه فـي تلـك الأحوال، كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها:

ومشـدودةَ السـكِّ موضـونةً تضـاءلُ في الطـيِّ كـالمبردِ[٣]

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال:

تفـيضُ علـى المـرءِ أردانُهـا كفـيضِ الآتـيِّ علـى الجدجـد[٤]»[٥].

قارن هذا النص بالنصوص السابقة للفراء والجاحظ والرماني تحـس بالفرق، فاللغة هناك أدبية علمية، أما اللغة هنا فهي علمية صارمة، وهـي تشبه إلى حد كبير لغة متأخري البلاغيين، فيقرر قدامة القاعدة ويمثل لهـا

(١) امرؤ القيس: ديوانه، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنـان، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ) ص١١٩.
(٢) السابق، ص١١٦.
(٣) السابق، ص٥٥.
(٤) السابق، الصفحة نفسها.
(٥) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص١٢٧، ١٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في لغة محددة تمام التحديد، فلا تجد تحليلاً رائقًا، ولا نكتة ولا لطيفة، وإنما هي قواعد ممثل لها بنماذج شعرية، ومدار الكتاب على هذا في كل المباحث النقدية والبلاغية التي تناولها، وكانت هذه هي طريقة ابن طباطبا العلوي في كتابه (عيار الشعر) وأبي هلال العسكري في كتابه (الصناعتين)، وابن رشيق في كتابه (العمدة)، لكن مما يميزهم كثرة الأمثلة على القسم الواحد، دون بيان موضع الشاهد أحيانًا، وبيانه أحيانًا أخرى.

لكن يجب التنويه، أن لغتهم لم تكن بصرامة لغة المتأخرين، ولم تَطْغَ عليهم المنطقية والعقلية طغيانها عليهم، بل بِقَدَر، ولعلهم هم من مهدوا للمتأخرين سلوك هذا الطريق، بل أقول – من غير شك –: إن سلوكه كان بتأثير قدامة ومن نحا نحوه في هؤلاء المتأخرين، وأنهم نقلوا طريقتهم في كتبهم.

وجاء عبد القاهر فأعاد الأمور إلى ما كانت عليه، من اللغة الجامعة بين الأدبية والعلمية، مع بيان الأقسام وضرب الأمثلة والتحليل الرائق لهذه الأمثلة، وضرب المثال تلو المثال على القسم الواحد، دون أن يبغي جانب على جانب.

لكن لما جاء الفخر الرازي وأبو يعقوب السكاكي، وكلاهما ممن تعلم الفلسفة والمنطق واشتغل بهما تعليمًا وتأليفًا، انعكس هذا فيما ألفاه من كتب، فتجد هذه النزعة المنطقية طاغية في كل ما كتب الرازي من علوم، طالع له – إن شئت – تفسيره (مفاتيح الغيب) أو المحصول في أصول الفقه أو نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، وكذا السكاكي طالع له (مفتاح العلوم)؛ ولذلك حينما صاغا البلاغة استعانا بقدرتهما المنطقية على التجريد

والتحديد، والتفريع والتشعيب، والتعليل والتسبيب، وكانت محاولتهما من الدقة والصرامة؛ بحيث تحولت البلاغة إلى قواعد صارمة، وقوانين محددة.

وقد نجحا – إلى حدّ كبير – في الإحاطة بالأقسام والفروع، غير أنهما في سبيل ذلك ضحيا بأهم ما يميز البلاغة، وهو: أنها علم جمالي يبحث عن قيم الجمال والإمتاع في العمل الأدبي، وبذلك تحولت البلاغة إلى اللغة العلمية الصارمة الجافة؛ مما أدى إلى كثير من التعقيد أصاب البلاغة، ففقدت بذلك جزءًا كبيرًا من الجانب الجمالي الفني فيها.

فالفخر الرازي – كما يقول عنه ياقوت الحموي – أتى «بما لم يسبق إليه؛ لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدلّ بأدلّة السبر والتقسيم، فلا يشذّ منه عن تلك المسألة فرع لها به علاقة؛ فانضبطت له القواعد، وانحصرت معه المسائل»[(١)].

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م) ٢٥٨٦/٦. وصلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م) ١٧٦/٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رابعاً- إهمال المتكلم:

لا نجد أيَّ صدى في البلاغة المتأخرة عن المتكلم؛ إذ انصب اهتمامها على جزئيات النص: اللفظ المفرد، جزء الجملة، الجملة، أو الجملتين على أقصى تقدير، ومعنى هذا أن النص في ذاته – من الناحية التفكيكية – كان هو محور البلاغة العربية عند متأخري البلاغيين، وهذه النظرة لم يتفرد بها متأخرو البلاغيين المتأخرين، فالبنيوية – مثلاً – التي «ترتكز على المسلمة القائلة: إن البنية تكتفي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أيّ من العناصر الغريبة عن طبيعتها»(١).

البنيوية لا تعير المؤلف/ المتكلم اهتمامًا، فتتوجه إلى النص مباشرة لسبر أغواره؛ بتفكيكه إلى جزئياته قبل القيام بعلمية تجميع تبرز مدى بلاغته وترابطه؛ فهي – أي: البنيوية – «منهجية نقدية تحليلية، تقوم فلسفتها على اعتبار البنية الذاتية للظواهر بمعزل عن محيطها الخارجي والتأثيرات الأخرى، فهي تنظر إلى تلك الظواهر من الداخل، وتفترض أنها مغلقة على ذاتها»(٢).

لكن تختلف البلاغة عن البنيوية في أن البلاغة لا تهتم بالكل بل بالجزء، لا تهتم بالنص كوحدة واحدة، بل نظرتها جزئية تهتم باللفظ، وجزء الجملة، والجملة، والجملة مع الجملة على أقصى تقدير، بخلاف البنيوية التي تقدم الرؤية الكلية للنص على النظرة الجزئية له، وأن النص يجب أن

---

(١) جان بياجيه: البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشيري أوبري (منشورات عويدات، بيروت وباريس، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م) ص٨.

(٢) د. محمد عبد الله صالح بلعفير: البنيوية: النشأة والمفهوم – عرض ونقد (مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٥، المجلد ١٦، يوليو – سبتمبر ٢٠١٧م) ص٢٤٢.

يدرس على أنه نص مجرد الوجود، ومن خلال بنائه الداخلي وجزئياته يتشكل بناؤه العام وعلاقات هذه الجزئيات مع بعضها البعض، و«يمكن القول بوضوح: إن البنيوية ينبغي أن تكون ساحتها كلما أغفل النقد البحث عن شروط وجود العمل الأدبي أو التحديدات الظاهرية – النفسية أو الاجتماعية أو غيرها – لهذا العمل؛ ابتغاء أن تركز اهتمامها على ذلك العمل نفسه، دون اعتباره مظهرًا بل كينونة مطلقة»(١)، وأنها ملاذ للنقد الداخلي كله من خطر التجزيء الذي يهدد التحليل، وأن أداة إعادة تشكيل وحدة العمل مبدأ تماسكه»(٢).

ومع هذا، فإننا نلمس اهتمامًا من متقدمي البلاغيين بالمتكلم أو قائل النص، فقد جاء في الصحيفة الهندية التي نقلها الجاحظ: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كلّ التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يُصَفِّهَا كُلَّ التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا، أو فيلسوفًا عليمًا، ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفح، وعلى وجه الاستطراف والتظرف»(٣).

---

(١) ك. م. نيوتن: نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب (عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م) ص١٤٤.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، ٩٥/١. وأبو هلال: الصناعتين: ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ) ص٢٠، ٢١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكانوا يشترطون في الخطيب/ المتكلم السيادة في القوم، والكرم في الخلق، والعمل بما يقول، وأن يكون جهير الصوت، رابط الجأش، ثابت الجنان، قوي الحجة، فصيح اللسان، قليل الحركة، حسن السمت، جميل المظهر(١).

وهذه الأقوال كثيرة في كتابات القدماء، لكن لا تعدو أن تكون جملة من النصائح ترشد إلى ما يجب أن يكون عليه المتكلم، أو مجموعة من الإرشادات تعين في بناء نصٍّ يتسم بالبلاغة، أو بيانًا لأصناف البلغاء ودرجاتهم في البلاغة والبيان.. وكل هذا لا يعين في التحليل البلاغي للنص شيئًا.

(١) ينظر: عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب في الحجاز (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة) ص٣٠١.

المبحث الثاني

البلاغة العربية في العصر الحديث

مرت البلاغة العربية منذ نشأتها وحتى استقرارها علما من علوم العربية بمراحل متعددة، فالبلاغة العربية بوصفها علما نشأت ونمت وازدهرت في حضن قضية إعجاز القرآن الكريم، ونشأت البلاغة العربية خصيصًا لإثبات هذه القضية، وخدمة لكتاب الله عز وجل، والبلاغة العربية ليست بدعًا من بقية علوم العربية، فكل علوم العربية نشأت لهذا الغرض نفسه؛ خدمة القرآن ولغته.

وقد قام على البلاغة العربية وتطويرها رجالٌ أفذاذٌ من أسلافنا منذ الملاحظات البلاغية الأولى التي وردت على ألسنة الجاهليين والإسلاميين ومن بعدهم علماء سطعوا في سماء العربية كابن المقفع، والخليل بن أحمد، والتي دونت وطورت على أيدي: سيبويه، والفراء، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وبشر بن المعتمر، والأصمعي، والجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وثعلب، وعبد الله بن المعتز، وقدامة ابن جعفر، وعلي بن عيسى الرماني، والخطابي، والباقلاني، والقاضي عبد الجبار، وابن طباطبا العلوي، والآمدي، والقاضي عبد العزيز الجرجاني، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وابن سنان الخفاجي، وغيرهم كثير من اللغويين والمتكلمين والأدباء والنقاد ممن أسهموا في نشأة البلاغة حتى استقرت على مرافئها واستقامت علمًا له أصوله على يد شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني والزمخشري.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم خلف من بعدهم خلف من متأخري البلاغيين، أمثال: الفخر الرازي، وأبي يعقوب السكاكي، والزملكاني، وبدر الدين بن مالك، ويحيي بن حمزة العلوي، والتنوخي، والخطيب القزويني الذين قعدوا البلاغة وضبطوها ضبطًا شديدًا، وتمايزت على أيديهم إلى علومها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

ويهمنا أن نتوقف مع الخطيب القزويني وقفة موجزة، فقد ألف كتابه (تلخيص المفتاح) وهو تلخيص للقسم الثالث الخاص بالبلاغة من كتاب (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكاكي، ومنذ ذلك الحين صار كتاب (تلخيص المفتاح) للخطيب القزويني البؤرة التي دارت حوله البلاغة العربية؛ فهذا الكتاب نال عناية الدارسين والباحثين في البلاغة منذ تأليفه وحتى يومنا هذا؛ فشرحه مؤلفه نفسه في كتاب سماه (الإيضاح في علوم البلاغة)، ثم توالت الشروح على (التلخيص) فشرحه المصري والخراساني والمغربي، وربما وضع شرح على الشرح، ولم ينل كتاب في البلاغة من الحظوة والعناية ما ناله كتاب التلخيص.

يقول حاجي خليفة: «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، ...، وهو متن مشهور، ...، ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقي والقبول، أقبل عليه معشر الأفاضل والفحول، وأكب على درسه وحفظه أولوا المعقول والمنقول، فصار كأصله محط رحال تحريرات الرجال، ومهبط أنوار الأفكار، ومزدحم آراء البال؛ فكتبوا له شروحا»[(١)].

وكثرت الشروح والاختصارات، وظلت البلاغة تتقلب بين هذه الشروح والاختصارات حتى بزغ فجر العصر الحديث؛ فانقسم الناس بإزاء البلاغة العربية إلى ثلاث طوائف:

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م) ٤٧٣/١.

الطائفة الأولى والتمسك بالموروث البلاغي:

وهذه الطائفة وقفت موقف الإجلال والتفخيم للبلاغة الموروثة عند متأخري البلاغيين، فاتبعت طريقتهم في التفريع والتقسيم، حتى نماذجهم وأمثلتهم على الأقسام البلاغية، وهذا كان سائدًا وما زال في حلقات تدريس البلاغة في الأزهر وبعض المعاهد العلمية الأخرى كمدرسة دار العلوم، وشائعًا في مؤلفات القائمين على دراسة البلاغة في بدايات العصر الحديث، لكن هذه المؤلفات – وللحق – تخففت كثيرا من المنطقية الزاعقة التي طغت على البلاغة العربية عند متأخري البلاغيين، لكن بقيت القاعدة والتدليل عليها هو السائد في مؤلفات المحدثين من البلاغيين الأزاهرة وغيرهم، وغاب التحليل – أو كاد – عند عرضهم للفنون البلاغية، كما خفت الذوق الذي هو أصل من أصول التحليل البلاغي.

ومع مرور الزمان بدأ التوسع في تحليل الأمثلة والنماذج، واضمحلت أو كادت النزعة المنطقية، لكن بقيت الأقسام البلاغية هي الأقسام، والأنواع هي الأنواع، ونحن لا نعيب على هذه الطائفة فعلهم هذا، لكن ما نعيبه عليهم هو وقوفهم عند حدود ما قدمه متأخرو البلاغيين.

الطائفة الثانية والدعوة إلى نبذ البلاغة القديمة جملة:

ومن أبرز أعلام هذه الطائفة: سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨م) في كتابه (البلاغة العصرية واللغة العربية)، ومن ينعم النظر في هذا الكتاب يجده ينسب إلى اللغة العربية كل جمود لحق الأمة، وكل توقف عن التفكير، وأنها العقبة في سبيل الإصلاح في شتى المجالات.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والكتاب من أوله إلى آخره هجوم كاسح على اللغة العربية، وهو لا يهاجم اللغة وحدها، بل يهاجم البلاغة، ويرى أن المنطق هو أساس البلاغة، وأنها يجب أن تخاطب العقل لا العاطفة، ويرى أن البلاغة العربية بفنونها المختلفة تخاطب العواطف لا العقل، وهذا ضرر عظيم في زعمه.

يقول: «كان المجتمع العربي القديم يعيش في ظل حكومة استبدادية لم تعرف قط معنى البرلمان أو المجلس البلدي؛ ولذلك نحن نحمل عبء الكلمات العربية التي خدمت هذا المجتمع الاستبدادي ونحاول تحميلها المعاني الديمقراطية الجديدة، أو نصطنع الكلمات الجديدة، مثل: برلمان؛ لكي تؤدي معنى لم تعرفه الثقافة العربية القديمة.

لم يكن المجتمع العربي القديم يعيش على المعارف والمنطق إلا في أقله، وكان يعيش على العقائد والغيبيات في أكثره؛ ولذلك يشق علينا في مجتمعنا أن نؤدي المعاني للمعارف المادية؛ لأن لغتنا حافلة بكلمات الغيبيات والعقائد دون الكلمات الجديدة.

والنتيجة لهذه الحالة أننا نجد صعوبات لغوية خطيرة كلما حاولنا معالجة المعارف العصرية؛ لأن لغتنا قضت شبابها وهي تلابس مجتمعًا ارستقراطيًّا حربيًّا عقديًّا؛ فكثرت مصادرها اللونية التي تعبر عن حاجات هذا المجتمع؛ فكانت الخطابة والشعر والغيبيات، بل ولغة اللهو والأغاني والقتال، ولكننا نحن نختلف عن العباسيين والأمويين من حيث إن حضارتنا قد صارت تنشد الديمقراطية وتنهض على الصناعة وتعتمد على المعارف والماديات دون العقائد والغيبيات، ومن هنا صارت البلاغة القديمة بلاغة الإدارة تعبر عن شهوات ورغبات وليست بلاغة المنطق التي تعبر عن العقل

والذكاء، كما حفلت اللغة برواسب الكلمات التي لا ننتفع بها، بل نستضر بها كلما حاولنا تحريك المجتمع»[١].

ويقول: «مشكلاتنا اللغوية لا تزال كثيرة، وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكي، ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التي تعلمناها، وغرست في أنفسنا قيمة مزيفة للاستعارة والمجاز»[٢]، بل إنه يذهب إلى «أن معظم الاضطراب في المعاني يرجع إلى أننا – أحيانًا – نستعمل كلمات وعبارات نشأت في بيئة اجتماعية غير بيئتنا، وهي كلمات أو مجازات أو استعارات اشتقت من أساليب التفكير الذي كان متبعًا قبل نحو ألف سنة في بغداد مثلاً»[٣].

وسلامة موسى يرى أن طرق معالجة البلاغة طرق عتيقة، ويحدد هذه الطرق في ثلاثة:

١- الذي يلقنه البلاغيون للدارسين، هو مبادئ البلاغة العاطفية بالمجاز والاستعارة والتشبيه إلى آخره، كي يصلوا منها إلى التعبير الفني أو الرفاهية الذهنية، بدلاً من مبادئ البلاغة العقلية المقيدة بقواعد المنطق؛ حتى يصلوا إلى دقة التعبير، وتوقي الالتباس، والنتيجة من هذه أن البلاغة العاطفية هي الضرر؛ لأنها تحدث لهم اتجاهًا نحو التزاويق والبهارج؛ فإذا طلب إليهم التفكير عجزوا.

---

(١) سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م) ص٦٦.

(٢) السابق، ص٦٢.

(٣) السابق، ص٩٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢- هذه البلاغة العاطفية أدت إلى الإكبار من شأن الاقتباس، وهذا يأتي على حساب التفكير، وهذا يؤدي بالدارس إلى العناية بالقشور وترك اللباب الذي هو التفكير السليم.

٣- العناية بالأسلوب، ومحاولة تعلم أساليب المتقدمين ومحاكاة أحسنها، وكأن ذلك هو غاية الإنشاء.

ويحاول علاج هذه الحال بالآتي:

١- جعل قواعد المنطق تقوم مقام البلاغة القديمة، أي: دقة التعبير بدلاً من تزويقه، ومخاطبة العقل بدلاً من مخاطبة العواطف.

٢- مقاطعة الاقتباس في الإنشاء في المدارس، ونجعل التفكير يقوم مقامه، فيُعَوَّد الناشئ على كيف يفكر.

٣- تحسين الأسلوب في الكتابة(١).

ونظرًا لاختلاف الحياة العصرية عن الحياة العربية القديمة، وأن فن البلاغة يجب أن يكون في خدمة الحياة العصرية، فهو يرى أن فن البلاغة «يجب أن يتغير كي يخدمها، فلم يعد مجتمعنا في حاجة إلى البهارج والزخارف البديعية، نحطم رءوس أبنائنا بتعلمها أو ممارستها، ولكنا في حاجة إلى أن نجعل البلاغة فنًّا للتفكير الحسن السديد، وللأمة المصرية حق تطوري في هذا التغيير.

ويجب أن نشرح غايتنا من البلاغة الجديدة:

١) فهي قبل كل شيء التفكير المنطقي السديد الذي يؤمن فيه الخطأ.

(١) ينظر: السابق، ص٥٠.

٢) تحريك الذكاء وتدريبه بالكلمات.

٣) أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتفكير التوجيهي.

٤) أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتحريك الاجتماعي»[١].

ولعلنا نقف وقفة مع القواعد الأربع التي وضعها سلامة موسى للبلاغة الجديدة بعد نفي البلاغة القديمة وإهالة التراب عليها:

أولها- أن التفكير يجب أن يكون منطقيًّا، إنه يريد للبلاغة أن تكون «علمًا يراد به مخاطبة العقل»[٢]؛ لذلك «يجب أن تكون لنا بلاغة عصرية، لا تقتصر على مخاطبة العواطف، بل تخاطب العقل، ويجب أن تكون غايتها الأولى الفهم، وما دام الأمر كذلك فإن المنطق هو الأساس الأول لأية بلاغة يراد بها التعبير السديد»[٣]، وهذا يقتضي – عنده – دراسة كتاب موجز في المنطق.

وثانيها- تحريك الذكاء اللغوي لدى الدارس، وهذا يقتضي – حسب رأيه – أن تكون الكلمات موضوعًا لتدريب الذكاء اللغوي لدى دارس البلاغة، وأن يكون مدرس اللغة موسوعي المعارف، ودارسًا لإحدى اللغات الأوربية،-ومتقنًا لعلم عصري.

وفي سبيل تحقيق القاعدة الثالثة والرابعة يوجب «أن نتعلم اللغة للفائدة الإيجابية، وهي: الانتفاع بها في إيجاد الكلمات التي تحرك الفرد والمجتمع، أي: نعرف القيم السيكولوجية للكلمات، وما فيها من شحنات

(١) السابق، ص٩٢.
(٢) السابق، ص١٤.
(٣) السابق، ص١٩. وينظر: ص٤٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عاطفية أو تنبيهات ذهنية؛ فاللغة علم وفن؛ وهي علم من حيث إننا يجب أن نعرف كيف ننتقد المعاني، وكيف نسبر المعاني في الكلمة، وهي فن من حيث قدرتنا على استعمال الكلمات؛ كي تبعث التحريك الاجتماعي، أو التنبيه الذهني أو العاطفي في الفرد أو الجماعة، أي: أننا نستطيع أن نعبئ الكلمات للإصلاح»(١).

ولا يخفى أن ما ينادي به من ضرورة اعتماد البلاغة على التفكير المنطقي وحده يتنافى مع طبيعة البلاغة؛ إذ البلاغة ترتبط بالأدب، والأدب كما يجمع القاصي والداني أن طبيعته تفرض ارتباطه بالعاطفة في المقام الأول، ولا تكون اللغة – حسب زعمه – حسنة إلا إذا أتاحت «لنا التفكير المنطقي كما لو كانت كلماتها أرقامًا تؤدي لنا الحساب الذي لا يحمل حاصل الجمع أو الطرح فيه معنى الشك، أو على الأقل يجب أن نقارب هذه الحال من الدقة على قدر الإمكان»(٢).

إن سلامة موسى يريد للبلاغة أن تصير علمًا رياضيًّا، فهو يقول: «لم نصل بعد إلى اللغة المثلى، بل نحن لا نكاد نعرف كيف تكون»، ثم يتساءل «هل نستطيع يومًا أن نصل في سائر الموضوعات إلى لغة تنقل إلينا الفكرة الفنية أو العلمية أو الفلسفية بمثل الدقة والسهولة اللتين ننقل بهما إلى أذهاننا عدد الألف أو المليون؟ وإلى أن نصل إلى هذه الغاية ستبقى اللغة عاجزة عن التعبير الدقيق»(٣).

---

(١) السابق، ص٤٦.

(٢) السابق، ص٤٩.

(٣) السابق، ص١٣.

وتوخي الدقة في الأداء اللغوي مطلوب، لكن أن تتحول البلاغة إلى علم كعلم الرياضيات من الصرامة والتحديد التام فإن هذا مما يتنافى مع طبيعة الاختلاف بين الأشياء؛ فكل موضوع له لغته الخاصة به، فهل لغة الحب تتطلب التحديد الذي تتطلبه لغة علم طبيعي كالكيمياء؟ وهل لغة الأدب مثل لغة الرياضيات، وهذا يتنافى مع طبيعة البلاغة التي تتأبى على الحصر والاستقصاء والإحصاء الرياضي والقوانين الجامدة والقواعد الجافة؛ لأنها «علم جمالي ذوقي في الدرجة الأولى، وظيفته الأولى أن يبحث عن جوانب الجمال الفني في العمل الأدبي قبل أن يبحث عن القاعدة أو التقسيم، بل إنه إذا اهتم بالقاعدة والتقسيم فمن أجل المساعدة على الوقوف على هذه الجوانب الفنية»(١).

ومن قال: إن البلاغة القديمة خالية من التفكير المنطقي، لقد عُدَّ من عيوب البلاغة عند البلاغيين المتأخرين النزوع المنطقي الذي أدى بها إلى الجفاف الذي يتنافى مع طبيعة وظيفتها الجمالية؛ إذ إنها في المقام الأول علم جمالي يتعامل مع نصوص الأدب الجمالية في المقام الأول، ثم الإقناعية في المقام الثاني.

ونحن بذلك لا نمنع أن تتحلى البلاغة ببعض المنطقية، لكن ليست المنطقية التي تقضي على الجمالية؛ لأن البلاغة إمتاعية إقناعية؛ لذا فهي تقتضي المواءمة بين الجمالي العاطفي والمنطقي العقلاني.

وواضح – كذلك – من طرح سلامة موسى السابق فيما يتعلق بضرورة مَنْطَقَةِ البلاغة أنه طرح متناقض، فهو على حين يدعو أن تكون

(١) د. علي عشري زايد: البلاغة العربية – تاريخها، مصادرها، مناهجها (مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م) ص١٠٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

البلاغة منطقية ذهنية عقلية ينص على الجانب العاطفي والجمالي فيها؛ فهو ينص على وجود شحنات عاطفية في الكلمات، وأن اللغة فن وعلم، أليس هو القائل: «واللغة الراقية هي: علم وفن وفلسفة، بمعنى: أنه يمكننا أن ننظر إليها النظر العلمي، فنبحث أصولها، ونميز بين معانيها، بل نضع الكلمات الجديدة؛ لتأدية المعنى الجديد، ويمكننا أن ننظر إليها النظر الفني؛ فننشد بالكلمات والجمل رفاهية ذهنية لا تؤديها الدقة العلمية»(١).

وأقول: ألم تضطلع البلاغة العربية بالنظر الفني للغة؛ فترصد ما تتحمل به الكلمات من شحنات عاطفية، والجمل والتراكيب من قيم جمالية وإمتاعية، وقيم تأثيرية إقناعية لا تؤديها الدقة العلمية على حسب قوله.

إن مشكلة سلامة موسى – فيما يطرحه – هي النفعية المادية التي يريد أن يصبغ بها كل شيء في الحياة العصرية، حتى اللغة والبلاغة، فهو القائل: «إذا شئنا أن نحب المصنع، ونحض الناس على اتخاذ الصناعة فيجب أن نختار اسمًا إيحائيًّا مغريًا، كأن نقول بدلاً من العبارات: "كل من أسس محلاً مفيدًا للأمة يزيد ثروتها، ويوفر العمل لأبنائها، ويرخص البضائع النافعة.. إلخ". ألا ترى القوة الموطرية في الكلمات؟ ألا ترى أن هذه الكلمات ألبق، وأشكل بوصف المصنع في عصرنا الجديد؟ ألا ترى أننا – هنا – نجد الخدمة الاجتماعية العظمى من البلاغة الجديدة؟»(٢).

نعم، ينبغي أن يراعى في اللغة والبلاغة الجانب النفعي المادي، لكن لا ينبغي تناسي أن فيهما جانبًا آخر لا يقل أهمية عن هذا الجانب، وهو:

(١) سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، ص١٣.
(٢) السابق، ص٩٣.

الجانب المعنوي العاطفي، وهو أشد خطورة من الجانب المادي؛ فإنه إن لم يشبع في الفرد والمجتمع؛ آل الفرد إلى الهلاك، والمجتمع إلى الدمار.

والبلاغة العربية في كل مراحلها راعت الجانبين معا، وهذا هو الأليق؛ أما التركيز على جانب دون الآخر فهو الخطر عينه.

ولنفعية سلامة موسى، ومحاولته تطويع اللغة والبلاغة لخدمتها، نجد أنه يدعو إلى تسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية المستقرة، يقول مثلاً: «إذا شئنا أن نحب الأنكليس[١]، فيجب ألا نسميه ثعبانًا»[٢]. ولا يفتأ يلح ويؤكد على هذه النفعية من أول الكتاب إلى آخره؛ فيقول في مقدمته للكتاب: «والدعوة إلى لغة عصرية هي في صميمها دعوة إلى المعيشة العصرية؛ لأن الكاتب حين يستبيح اعتناق الكلمات العلمية كما هي بلا ترجمة إنما هو في الواقع يستبيح حضارة العلم والمنطق والرقي الصناعي، بدلاً من حضارة الآداب والعقائد والزراعة»[٣].

وواضح أنه يريد القضاء على كل ما هو قديم من لغة وبلاغة وغيرهما، أو كما سماه هو: سلفي؛ ليحل محله كل ما هو عصري، أو مستقبلي كما سماه؛ لأن «السلفية هي حرمان الأمة من الرقي الصناعي، ...، وعرقلة – بل عرقبة – كل تقدم صناعي ...؛ لأن المجتمع الصناعي كان جديرًا بأن يحدث مجتمعًا مستقبليًّا، يكتب مؤلفوه بلغة الشعب؛ وتنتقل اهتماماتهم الذهنية من التأليف عن قدماء العرب إلى التأليف عن مشكلاتنا العصرية في الأخلاق والتعليم والاقتصاد ومكافحة الفاقة، وإني بالطبع لا

(١) هو نوع من أنواع الثعابين تعيش في البحار.
(٢) سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، ص٩٣.
(٣) السابق، ص١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أغفل – هنا – ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد، وأن هذا الارتباط من أسباب الكراهية للتطور اللغوي، أعني: أن العقلية الكلاسيكية في اللغة؛ عقلية التقاليد التليدة، قد أحدثت مزاجًا أدبيًّا اجتماعيًّا، هو: النظر إلى الماضي، ومحاولة استرداد الأمس، والتبلد والتجمد، في الوقت الذي نحتاج فيه إلى أن نشق طريقنا إلى المستقبل»[١].

إنه يريد حتى القضاء على العقائد، مهما كانت هذه العقائد، ومهما كان مصدرها؛ فالرقي يعني المعيشة العلمية التي تستند إلى الحقائق البينات لا إلى العقائد[٢].

زد على ما تقدم، فإن الطرح الذي قدمه لما سماه بقواعد البلاغة الجديدة قائم على التعميم، إنه طرح غائم مبهم، مبني على غير أساس؛ ولذا فهو غير قابل للتطبيق واقعيًّا.

وحين دعا إلى الاقتصاد في التعبير، والابتعاد عن المترادفات؛ لأنها ثرثرة صبيانية يضيع بها الوقت[٣]؛ فهو لم يأت بجديد؛ لأن هذا مما نبه عليه البلاغيون قديمًا وحديثًا وأكدوا، والإيجاز باب من أهم أبواب البلاغة العربية، بل قديمًا قيل: الإيجاز هو البلاغة.

إلى هذا الحد وصل سلامة موسى في دعوته التي وجدت صدى عند بعضهم الذين ذهبوا إلى أنَّ الكتب القديمة يجب أن تُلغَى، ويُلقَى بها في بحر الظُّلمات، ويحل محلَّها كُتب أخرى مؤلَّفة على منهج حديث مستقل، مبني على أساسٍ من الدراسات الغربية الحديثة.

---

(١) السابق، ص١٠، ١١. وينظر: ص٢٥ وما بعدها، وص٣١، وص٣٩، وص٤٣، ... إلخ.
(٢) ينظر: السابق، ص٩٥.
(٣) السابق، ص١٤.

وليس من المجهول أنَّ هناك أياديَ خفيَّةً مجنَّدة من قِبَل الغزو الثقافي والفكري، تريد أنْ تَقضِي على الفُصحَى وآدابها وبلاغتها؛ لتقضي بالتالي على هوية الأمة، وتمحو الشخصية العربية من الوجود، فلا يبقى أمامَ استغلالها واستعمارها مجابهة ولا مقاومة.

الطائفة الثالثة ومحاولات تجديد البلاغة:

يمثل هذه الطائفة أولئك النفر الذين قاموا بمحاولات لتجديد البلاغة، وهي محاولات بدأت مبكرة في بدايات العصر الحديث، فقد وجد عدد غير قليل نادَى بتجديد البلاغة، ووضع معالم لهذا التجديد.

ولن نستطيع – في هذا البحث الذي يسعى إلى بيان واقع البلاغة العربية، أي: الصورة التي تعيشها – وضع تصور شامل يحيط بهذه المحاولات، ويبرز خيوطها، ويوضح معالمها، ويكشف إيجابياتها، ويبين سلبياتها، ويحدد مواقعها من الدرس البلاغي بشكل دقيق تنظيرًا وتطبيقًا، فهذا مما يحتاج إلى بحث مستقل، بل بحوث متعددة، وهذا ما سوف يحاوله الباحث لاحقًا؛ بغية الوقوع في هذه المحاولات على الجوانب التي تزيد من فاعلية البلاغة العربية، وتستكمل نواقصها، وتجبر نواقصها، وتنفي عنها ما لحق بها من عوار؛ وذلك للوصول بها إلى واقع أفضل مما هي عليه الآن.

ومن ثم، سنتعرض لأبرز دعوات أصحاب هذه المحاولات وخيوطها العريضة وحسب:

١- محاولة جبر ميخائيل ضومط (١٨٥٨-١٩٣٠م) الذي دعا في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) دعوة صريحة إلى عدم الاقتصار على بلاغة الجملة، وتجاوز ذلك إلى نظرة بلاغية شمولية تهتم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بالنص الأدبي كله، يقول: «والحق أن متعلق البلاغة إنما هو في المقالة أو الكتاب برمته، لا في الجملة المفردة أو القطع الواحدة؛ وليكون الكتاب بليغًا لابد من ارتباط الجمل بالقطعة، والقطعة بالمقالة، أو الفصل والفصول بأبحاث الكتاب على الجملة، ...، ولا يخفى أن الارتباط يكون باعتبار الزمان والمكان، أو الاستصحاب والعلة والمعلول والغاية والصورة والمادة والوهم والتخييل إلى غير ذلك، والكاتب البليغ من أحسن جميع هذه الاعتبارات، وربط بين جمله وقطعه وفصوله على ما يقتضيه الحال بأنسب الروابط وأدلها على الغرض المقصود بجميع اعتباراته ومحيطاته»(١).

ودعوة ضومط تلك إلى بلاغة شمولية دعوة نظرية؛ لأنه عند التطبيق تبنى مقولات البلاغيين المتقدمين، وتبنى نظرتهم الجزئية، وكل ما فعله أن صاغ هذه المقولات صياغة قريبة سهلة، وزاد بعض الأمور التي لم يتعرض لها البلاغيون القدماء؛ فأدخل مباحث منطقية ونحوية مع المباحث البلاغية، مثل: خاطر في الصور الذهنية والأفكار(٢)، والأفكار الصحيحة والأفكار الفاسدة(٣)، وتقسيم الجملة إلى بسيطة ومركبة ومؤلفة(٤).

٢- محاولة الشيخ عبد العزيز البشري (ت. ١٩٤٣م) الذي ثار على علوم البلاغة(٥)، وصرح بأن درس علوم البلاغة - على صورتها الموروثة

(١) ينظر: جبر ضومط: الخواطر الحسان في المعاني والبيان (مطبعة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٣٠م) ص٢٢.
(٢) ينظر: السابق، ص٢٥-٢٨.
(٣) ينظر: السابق، ص٢٨.
(٤) ينظر: السابق، ص٢٩-٢٨.
(٥) وذلك في محاضرته المعنونة بـ(ثورة على علوم البلاغة) التي ألقاها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ونشرتها مجلة الهلال في يناير ١٩٣٦م، ونشرها المؤلف في كتابه: المختار (طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م) ص٢٩٩ وما بعدها.

– «ليس من شأنه أن يعلم البلاغة، أو يطبع على ناصع البيان»[١]، وأرجع ذلك إلى التعقيد الشديد في عبارات كتب البلاغة المتأخرة، «والمبالغة في إيهامها وإغماضها؛ لأن ملاك البحث فيها إنما هو الجدل اللفظي، والاعتساف في بحوث فلسفية لا غناء لها في صنعة البيان»[٢].

وزعم أن علم البلاغة ليس «هو الذي يخلق الفن ويطبع ملكة المرء عليه، إنما الفنون، وخاصة الفنون الجميلة»[٣]، ثم دعا إلى نبذ النظرة الجزئية في البلاغة واعتماد النظرة الشمولية، فهو يقول: «لعل أظهر ما نحسه من ضعف النقد الأدبي – أو بعبارة أبين: من قصور علوم البلاغة في هذا العصر – أن سلفنا وجهوا عنايتهم إلى النقد الجزئي، أعني نقد الكلمة في الجملة، أو نقد الجملة في العبارة، فإذا كان الكلام نظمًا جرى النقد للبيت مستقلاً، وأحيانًا للبيت من حيث اتصاله بما قبله أو بعده، أي: النقد بالقطاعي على تعبير التجار. أما نقد الكلام مجتمع الشمل، وتناوله من حيث استواء الصورة، واتساق المعاني، واتساق الأقطار، وتلاحم الأجزاء، فذلك ما لم يكن له من نقدة البلاغة حظ جليل!»[٤].

لكل هذا دعا إلى تليين علوم البلاغة العربية وتمرينها؛ «حتى تصبح أشبه بالأسلوب النقدي القائم على التفطين والتذويق، بحيث تتطور مع تطور الأفهام والأذواق، وعلى أن يوصل تعليمها في المدارس والمعاهد بدرس الأدب نفسه»[٥].

---

(١) عبد العزيز البشري: المختار، ص٣٠١.
(٢) السابق، ص٣٠٧.
(٣) السابق، ص٣٠٨.
(٤) السابق، ص٣١١.
(٥) السابق، ص٣١٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكل ما ذكره البشري لا يعدو كونه كلامًا نظريًّا لا يسنده التطبيق، التطبيق الذي يعد الأمر الأكثر إلحاحًا وأهمية.

٣- محاولة أحمد ضيف (ت. ١٩٤٥م) الذي كان من أوائل من دعوا إلى تجديد البلاغة، على أساس من بلاغات الأمم الحديثة؛ حيث يقول: «إن كل ما يراه القراء في هذا الكتاب جديدًا هو ما يجيش في نفوس الأدباء الذين اطلعوا على بلاغات الأمم الحديثة، ورأوا الأطوار التي أدركتها فكانت سببًا في رقيها»(١).

وقد وضع حدًّا للبلاغة يختلف عما وضعه القدماء لها(٢)، فكان ذلك أول محاولة صريحة للخروج على تقاليد المدرسة السكاكية.

٤- محاولة أمين الخولي (ت. ١٩٦٦م) الذي حاول تجديد البلاغة مفيدًا في ذلك من الدراسات الفنية الحديثة بعامة، والأدبية منها بخاصة، والرجوع إلى كل ما يجدي في ذلك من عمل الغربيين وكتبهم، والموازنة بينه وبين صنيع الأسلاف وأبناء العصر في هذا كله، مع العناية بتاريخ البلاغة وتتبع خطوات سيرها ومنعرجات طريقها، والاستعانة بذلك على تبين عقدها، وتفهم مشكلاتها، ومعرفة أوجه الحاجة إلى الإصلاح فيها(٣).

<u>ويعتمد الخولي في دعوته إلى تجديد البلاغة «على ثلاثة أصول:</u>

١) قَتْل القديم بحثًا؛ حتى يستفاد مما وصل إليه أصحابه مما ينشط هذا التجديد وينفخ فيه، ويجعله موصول الأسباب به.

---

(١) أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب (مطبعة السفور، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢١م) ص٢.

(٢) ينظر: السابق، ص٣٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: أمين الخولي: فن القول (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م) ص٢٣.

٢) فكرة الاختيار والمفاضلة بين الأساليب، وهي أساس ارتياد آفاق جديدة وإبداع متميز في العمل الفني؛ إما ما لا اختيار فيه مما يتصل أساسا بحتمية التركيب اللغوي؛ فإنه ينبغي أن يضاف إلى النحو، فيصبح بابًا من أبوابه.

٣) الوصل بين الظواهر الفنية وإحساس الأديب بها، ومدى صدقه في عملية الوصل هذه(١).

٥- محاولة أحمد الشايب (ت. ١٩٧٦م) الذي رأى «أن علم البلاغة يجب أن يوضع وضعًا جديدًا يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتيها: العلمية والإنشائية»(٢).

ودعا إلى تبني المقدمتين الجمالية والنفسية في البلاغة العربية، وسعى إلى نظرة شمولية بدراسة أساليب الفنون الأدبية(٣).

والملاحظ أن كل هذه المحاولات التجديدية وغيرها - مما لم نذكره هنا - كانت بسبب «منبهات طارئة؛ نتيجة لاتصالنا بالتيارات النقدية الوافدة، وكأننا نحتاج إلى من ينبهنا - دائمًا - إلى الإفادة من تراثنا»(٤).

ثم خلف من بعد هؤلاء وغيرهم خلف أوغلوا في تجديد البلاغة، منهم:

---

(١) د. السابق، ص١٤٣.

(٢) أحمد الشايب: الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، ١٤١١هـ=١٩٩١م) ص٣.

(٣) ينظر: السابق، ص٢١ وما بعدها.

(٤) د. محمد عبد المطلب: البلاغة العربية - قراءة أخرى، ص٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١- محمد عبد المطلب الذي عاب طريقة تقديم أدوات البلاغة للناشئة «في قوالب عقيمة؛ حتى تحولت إلى أداة تفسيرية عقيمة؛ لأن من يتعامل بها لم يدرك وظائفها الجمالية الصحيحة، ولم يحاول الكشف عن خلفيتها اللغوية التي تعطيها شرعية وظيفتها الإبداعية»(١)؛ ولذلك لم ير الناشئة – في رأيه – «هذه الأدوات إلا في جانبها المشوه الذي يعمل على تمزيق النص وبعثرة مكوناته إلى عناصر مبتورة لا تجمعها وحدة شعورية أو موضوعية، أي: أن البلاغة – على هذا النحو – كانت من أسباب نفور الناشئ من مجموعة البنى البلاغية أولا، ثم من النص الأدبي ثانيا»(٢)، ومن ثم دعا إلى «معاودة النظر في مباحث البلاغة، جملة وتفصيلا؛ للإمساك بتصور شمولي يجمع بين مفرداتها من ناحية، والكشف عن تفسير عميق لتحولاتها الظاهرة والعميقة من ناحية أخرى»(٣).

والدكتور عبد المطلب ينطلق في محاولته التجديدية من ضرورة إعادة الشرعية للدرس البلاغي؛ لأن مشروعية البلاغة – في نظره – أمر مستحق منذ أن صارت البلاغة علمًا مكتملاً، يمتلك أسسًا نظرية، وإجراءات تطبيقية، ولم يحصر نفسه في البعد الجمالي وحده، بل تجاوزه إلى عملية التأكيد أو الإقناع التي ترتبط بالمتلقين في مقاماتهم وأحوالهم المتباينة، وكل ذلك أتاح للبلاغة أن تتحول عن مهمتها الأولى، وهي إنتاج النص إلى مهمة جديدة هي تحليله والكشف عن نظامه(٤).

---

(١) السابق، ص١.
(٢) السابق، الصفحة نفسها.
(٣) السابق، الصفحة نفسها.
(٤) ينظر: السابق، ص٦، ٧.

ويدعو إلى إعادة اكتشاف الدروب القديمة للبلاغة العربية التي هجرها الباحثون بدعوى التحجر والجمود، وهي دعوى قائمة – فيما يعتقد – على السماع دون الفحص الفعلي للموروث البلاغي، للتحقق من صحة الدعوى(١).

وفي سبيل دعوته التجديدية يطرح فكرة التكامل بين البلاغة والأسلوبية؛ نظرًا لصلاحية البلاغة العربية للأسلبة الحديثة؛ لأن العلاقة بينهما وطيدة، وأنه إن وجد بينهما تعارض في موقف ما فإنه سرعان ما يتلاشى؛ «حتى يصير العلمان إلى تكامل يمكن أن يفيد إفادة بالغة في تقديم نظام ذي أصول عربية، صالح للتعامل مع الخطاب الأدبي العربي صلاحية توافقية، يوظف من الأدوات البلاغية ما يجده قابلاً للتوظيف، ويطور ما يحتاج إلى تطوير، ويعدل ما يحتاج إلى تعديل، ثم فوق هذا وذاك يستحدث أدوات وافدة بعد أن يطوعها لروح هذه البلاغة»(٢).

ويخلص إلى القول بأنه يمكن «قراءة بلاغتنا القديمة قراءة جديدة تستوعبها أولاً؛ لتعيد إنتاجها في صياغة حداثية، قد لا تتوافق مع المقولات التراثية شكلاً، لكنها تعبر عن مضمونها تعبيرًا صحيحًا»(٣).

٢- حمادي الصمود الذي يرى أن الجهود التي قدمت في البلاغة العربية «لا تخلو – على أهميتها – من النقص؛ فالآثار التي تروم الإلمام بمختلف مراحل البلاغة نشأة وتطورًا واكتمالاً قليلة، وما اتجه منها هذه الوجهة باشر المسألة من زاوية تاريخية – حَدَثِيَّة أضعفت جانب التأليف

(١) ينظر: السابق، ص٧.
(٢) السابق، ص٨، ٩.
(٣) السابق، ص١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والاستنتاج، كما أنها لم تعتن عناية كافية بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب، فجاء جلها تاريخًا للتأليف البلاغي لا البلاغة، ولا يخفى الفرق بين الوجهتين»(١).

ثم إن هذه الجهود – في رأيه – عجزت عن «إقحام البلاغة في حقل العلوم الأدبية»(٢).

ويرى أن «حركة البلاغة حركة تراجعية، بمعنى: أنها ترد مختلف التجارب إلى نمط ثابت، معرضة عن تبدل الظروف والأحوال وتباين النصوص، وهو ما يفسر تواتر المقاييس نفسها بنصها ومعناها في مؤلفات تفصل بينها قرون»(٣).

وفي سبيل محاولاته التجديدية لتلافي القصور الواقع في الدرس البلاغي، حرص «على مباشرة التراث من منطق التفاعل بينه وبين الحداثة؛ قصد فهمه في ذاته واستجلاء أبعاد النظرية الأدبية التي يتضمنها، ثم لمحاصرة مظاهر المعاصرة فيه التي يمكن استحضارها اليوم»(٤)، و«أن نكتشف السبيل إلى تلك المظاهر، وأن نعرف كيف نقرأ التراث البلاغي قراءة لا تقتصر على استخراج وجوه البديع وأنواع المجازات، واجتثاثها عن إطارها الفكري اجتثاثًا يجعلها وسائل عقيمة لا تولد في أذهان التلاميذ والطلبة إلا الملل والكلال»(٥).

---

(١) د. حمادي الصمود: التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس– مشروع قراءة (منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م) ص١٠.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) السابق، ص٦١٦.

(٤) السابق، ص١١.

(٥) السابق، ص٦٢٠.

٣- محمد العمري الذي يدعو – فيما يتعلق بالبلاغة العربية – إلى «الخروج من حلقة الأمثلة المقطوعة عن السياق التي لم تزدنا إلا تشويشًا واختلافًا في فهم الفكر البلاغي العربي وتقويمه»(١).

ويرى أن البعد التأويلي يسهم في ربط المشاريع البلاغية ومنجزاتها، والكشف عن خلفياتها أو تفسيرها، واستكشاف مساراتها الكبرى(٢).

ويرى – أيضًا – أن للمعالجة البنيوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية، مع استغلال مقترحات جمالية التلقي في بعدها التاريخي(٣).

وقد أشار العمري إلى أن قراءته التجديدية:

«١) تسمح بمراجعة مفهوم البلاغة المهيمن، وتعيد إلى هذا العلم الأرض التي استلبت منه؛ فَحَوَّلَتْهُ من إمبراطورية مترامية الأطراف إلى مجرد إمارة محصورة داخل أسوار منيعة متمنعة. إن التصور السائد حاليًا ومنذ قرون هو تصور السكاكي، هو قراءة السكاكي للتراث القديم، وهي قراءة مشرعة ولكنها مشروطة بظروف. وقد صار السكاكي اليوم – ككل القدماء – جزءًا من التراث البلاغي؛ فينبغي أن يدمج فيه قبل القيام بقراءة جديدة، ومن يومها سيدرس (البيان، والمعاني، والبديع) كتصور لمدرسة لا كصورة نهائية للبلاغة العربية.

ولا أقل من أن يقدم بجانبه مشروع حازم القرطاجني الذي يفتح البلاغة على النقد الأدبي، وعلى كل المقومات الفلسفية واللسانية والشعرية التي تسنده.

---

(١) د. محمد العمري: البلاغة العربية – أصولها وامتداداتها (أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م) ص٥.
(٢) السابق، ص٥.
(٣) السابق، ص٩، ١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢) وتسمح بنقل الرصيد البلاغي من وضعية البنية التاريخية الجامدة المرتبطة بعصرها إلى حلقة من دينامية الأسئلة الإنسانية التي يتصل أولها بآخرها؛ تجاورًا وتعارضًا وتقابلاً؛ حيث نجد البلاغة في تجاذب مع الشعر والنحو والمنطق: انزياح مستمر، ونزوع إلى الانبناء ككيان قائم الذات. ومشروعا السكاكي وحازم كفيلان بهذه المهمة.

٣) وتسمح أخيرًا بإعادة الارتباط بين البلاغة وتاريخ الأدب والنقد، أي: بالحركة الدائرة حول النصوص الحية وعملية الإنتاج»[١].

وهؤلاء وغيرهم حاولوا فهم النظرية البلاغية القديمة مقارنة بالمقولات اللسانية الحديثة؛ إيمانًا منهم أن القراءة التقليدية لم تعد ذات جدوى في فهم البلاغة العربية.

وباستِقراء آراء الدُّعاة إلى تجديد البلاغة، نجدُهم يتَّجِهون في شِبه إجماع إلى تَخليص البلاغة ممَّا شابَها من مسائل المنطق والفلسفة، ومباحث الأصوليين وما إليها، وهم محقون في ذلك، لكن يجب أن يكون بالقدر الذي يعيد للبلاغة دورها الجمالي والدلالي، وبما يتلاءم وروح اللغة العربية، ووظيفتها في تحليل الخطاب اللغوي المبدع.

ثم يختَلِفون بعد ذلك: فبعضهم يرى الاعتماد على تُراثنا في البلاغة، وجعْلَه أساسًا للتجديد، وأنَّ التجديد يجب أنْ يكون نابعًا من رُوحنا ومجتمعنا، وتكويننا وفِطْرتنا وذَوْقنا.

وبعض آخر يرون مزجَ البلاغة العربية بأصول الدِّراسات البلاغية الحديثة في شتَّى اللغات الأوروبيَّة، وأنَّه من الخير الجمْع بين ما يصلُح من

(١) السابق، ص١٢.

تراثنا، وما يصلُح من بلاغة الغرب، وأنَّ التعايُش بين القديم والحديث أفضلُ نتاجًا، وأقوى أثَرًا.

ولعلي أقف وقفة مع هذه الطوائف الثلاث:

فأما الطائفة الثانية التي تنادي بنبذ اللغة الفصحى وبلاغتها فمذهبها مرفوض جملة وتفصيلاً؛ لأن دعوتها تنادي بالقطيعة الباتة بين الحاضر والماضي، وهذا ما لا ينادي به عاقل، فمن ليس له ماض ليس له حاضر، والقطيعة مع التراث يعني فقدان الهوية، وأن نصير كالمسخ الذي لا طعم له ولا رائحة، ونبقى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا نحن حافظنا على هويتنا وقيمنا وثقافتنا ولا نحن أصبحنا ضمن منظومة القيم والثقافة الأخرى، وسنصبح – بدون شك – أتباع أذلاء مستلبين للفكر والثقافة الأجنبية، وفي النهاية لن نحقق شيئًا، كما لم يحقق أنصار هذه الطائفة شيئًا، فأنت لا تسمع لدعوتهم صدى في واقعنا المعاصر، فالانسلاخ كلية من التراث ضرره عظيم.

وتبقى الطائفتان الأولى والثالثة، وهما أقل ضررًا في واقعنا العلمي والفكري.

فأما الطائفة الأولى التي تعظم التراث البلاغي ولا تريد أن تتجاوزه، فنقول لها: التراث ليس مقدسًا، والتراث يؤخذ منه ويرد، والتراث البلاغي في الأخير ليس إلا اجتهاد بشري، قابل للنظر والتأمل، والأخذ والرد، والتصحيح والتوجيه، والتطوير والتجديد، لكن أن نقف أمامه متحجرين فإن هذا مما يتنافى مع سنة التطور وحركة العلوم، ومع مرور الزمن سيموت العلم، ونكون نحن الجناة عليه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والطائفة الثالثة التي حاولت التجديد، أحسب أن هذه المحاولات لم تكن جادة بالدرجة الكافية؛ والدليل على ذلك: أنها لم تثمر في أرض الواقع كبير أثر، وما زالت البلاغة العربية بنهجها القديم هي السائدة، سواء في الدرس البلاغي في المدارس والجامعات، أو البحث العلمي التطبيقي في رسائل الماجستير والدكتوراه وجل البحوث العلمية.

حتى دعاة التجديد هؤلاء إذا «احتكموا للدراسة التطبيقية مع الخطاب الأدبي لا يجدون ما يسعفهم إلا تلك الأدوات البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية، ومن تقديم وتأخير وحذف وذكر وتعريف وتنكير، ومن سجع وجناس وطباق، وربما كانت الإضافة التي نلاحظها على استعمال هذه الأدوات هو إخضاعها لمسميات طارئة توهم بالحداثة؛ كالانحراف والانتهاك والانزياح، ثم إدخالها إلى دوائر الإحصاء العددي، وهي دائرة لم تغب عن القدماء تماما، وإن كانت إشاراتهم لها خاطفة، دون أن يعطوها العناية الكافية التي أصبحت لها في الدرس الأسلوبي الحديث»(١).

ثم إنهم غضوا الطرف عن أبعاد لافتة حتى في المرحلة السكاكية التي اتهمت بتعقيد البلاغة، فمثلاً حين يقول السكاكي: «لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين؛ مشبهًا ومشبهًا به، واشتراكًا بينهما من وجه، وافتراقًا من آخر، مثل: أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة، أو بالعكس، ....، وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف في جميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد، فيبطل التشبيه؛ لأن التشبيه لا يكون إلا وصفًا له بمشاركته المشبه به في أمر، والشيء لا يتصف بنفسه، كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه

(١) د. محمد عبد المطلب: البلاغة العربية – قراءة أخرى، ص٩.

من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما؛ لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف، وأن التشبيه لا يصار إليه إلا لغرض»[١].

فالتشبيه لا يتحقق بتساوي الطرفين تمامًا، ولا باختلافهما تمامًا؛ فالتساوي التام والاختلاف التام يعوقان إنتاج دلالة التشبيه، من مثل: التقرير أو بيان المقدار أو الإمكان، أو غير ذلك من نواتج.

مثل هذه اللفتات المهمة وغيرها – مما يصعب متابعته في كتابات البلاغيين المتأخرين – يتغاضى عنه بعض دعاة التجديد، ويوجهون سهامهم عشوائيًّا إلى ما قدمه البلاغيون المتأخرون، وأنه غير صالح للتفعيل في دائرة النقد الحديث، أو تطبيقه عند تحليل النص الأدبي الحديث.

ولعل من الأسباب التي أدت إلى ضعف الأثر لما يسمونه (البلاغة الجديدة) في أرض الواقع:

١- فساد منطلقات محاولات التجديد؛ حيث إن بعضها ينطلق من رؤية تراثية عربية بحتة، لا تستعين بأية نظريات أو أفكار أجنبية، ونسي أصحاب هذه المحاولات أو تناسوا أن البلاغة العربية لم تكن لتصل إلى غايتها لولا مزجها بين الفكر العربي والفكر الأجنبي، ولا يند عنا ما للبلاغة اليونانية متمثلة في أرسطو وكتابيه: الخطابة وفن الشعر من أثر في تطور البلاغة العربية على يد قدامة وعبد القاهر والسكاكي والرازي وغيرهم.

ثم إن أصولنا وقيمنا تعلمنا أنه لا تطور ولا تجديد إلا بالتواصل والحوار الفكري والثقافي مع الآخر؛ وكما قيل: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

---

(١) أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص٣٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبعض المحاولات الأخرى تنطلق من منطلقات أجنبية صرفة، ونسي أصحاب هذه المحاولات أو تناسوا أنهم يطورون بلاغة عربية، لها خصوصياتها وعوالقها الفكرية والثقافية.

٢- ومن الأسباب التي أدت إلى ضعف أثر البلاغة الجديدة: ضبابية المحاولات وغموضها، فإنك تجد صعوبة بالغة في الوصول إلى مقصود بعض المؤلفات التجديدية للبلاغة، تقرأ وتطالع وتتأمل وتتدبر ثم لا تقع على كبير فائدة، حتى إن الواحد ليتهم عقله بالضعف، ونفسه بالغباء.

٣- ومن الأسباب أيضًا: ضعف الشخصية العربية واهتزازها، وعدم ثقة الأمة في نفسها، واستلابها بإزاء الأمم والقوميَّات الأخرى، وإحساسها بالدونية، في واقع مأزوم، كل هذا جعل محاولاتها التجديدية تأتي واهنة ضعيفة.

وأقول: إن التجديد لا يكون بالهدم أو الاجتيال، وإهالة التراب على تراث تعب فيه الأسلاف، فهذا جهدهم، وهذا ما أوصلهم إليه اجتهادهم، فأين نحن من هذا الجهد والاجتهاد، أيكفي أن نلوك الكلام: بلاغتنا فيها كيت وكيت من العيوب، وقد انتهى دورها، ولابد من نبذها، دون أن يكلف الواحد من هؤلاء نفسه أن يقرأ التراث البلاغي ويطالعه ويتأمله، هل هذا يجوز في البحث العلمي؟! هل يجوز لنا في البحث العلمي الحق أن ننطلق من إيديولوجياتنا واعتقاداتنا الفكرية في رفض الشيء أو قبوله؟!

إن المجدد الحق، هو الذي ينطلق من أساس متين، أن يعرف الشيء ويخبره ويعرف كنهه قبل أن يحكم عليه، وحينما يحكم يحكم بموضوعية، أما ما هو قائم الآن فهو التلفيق والتزوير، وهما واقعان في أشرف المجالات وأجلها: العلم، وإذا ما بقينا على ذلك فلن نصل إلى شيء.

خاتمة البحث

في الختام أقول: نعم، إن البلاغة العربية تحتاج إلى تطوير وتجديد، ولكي يتم ذلك:

أولاً- تحتاج إلى نصفيها مما علق بها من الشوائب والأوشاب، وأن نخلصها من التقسيمات والتفريعات التي لا طائل من ورائها، وبخاصة علم البديع، وأن نخلصها من التداخل بين أساليبها، ونخلصها مما شابها من نزعة منطقية عقلية جعلت لغتها لغة جافة، وأن نزيل عنها كل ما هو هامشي غير مؤثر، واستبعاد المباحث المقحمة في البلاغة، وما خالَطها من مقدمات منطقيَّة واستِطرادات فلسفية، مثل: الدلالات، والجامع الوهمي والخيالي والعقلي، وأن نخليها عن الإطالة في بعض التعاريف، ومُحترزات القيود والخلافات اللفظية، فإنَّه لا معنى لأنْ يبذُل طالب العلم وقتًا وجُهدًا في خصومة عنيفة، يُطالِع فيها حجج الفريقين، ويُتعب نفسه في تفهُّم جَدَلِ الخَصمين، ثم يُقال له أخيرًا: إن الخلاف لفظي، أو يجد النتيجة لا تُكافِئ الجهد.

والدليل على حاجة البلاغة العربية إلى التصفية: أن المصطلح النحوي والصرفي- وكما نعلم أن المصطلح يعبر عن أقسام العلم وموضوعاته – لم يزد عن ستمائة وخمس وخمسين مصطلحًا[1]، مع أن النحو والصرف أقدم في النشأة من علمي البلاغة والنقد، ومباحثهما وموضوعاتهما أكثر، والتأليف فيهما أوسع، ولك أن تقارن بين عدد كتب النحو والصرف وعدد

---

(١) يراجع: د. محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية (مؤسسة الرسالة – بيروت، ودار الفرقان – عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كتب البلاغة والنقد، بطبيعة الحال لا وجه للمقارنة، فكتب النحو أكثر من أن تحصى، على حين أن كتب البلاغة والنقد محدودة، ومع هذا تجد أن مصطلحات البلاغة – في أكثر معاجم المصطلحات البلاغية والنقدية استقصاءً – بلغت ألفًا وسبعة وثمانين مصطلحًا(١)، أي: بلغت قريبًا من ضعف المصطلحات النحوية والصرفية، ومعنى هذا أن الأقسام والموضوعات البلاغية تزيد عن أقسام علمي النحو والصرف وموضوعاتهما.

إذن، المصطلحات البلاغية والنقدية تكاثرت في التراث العربي إلى درجة أنه يصعب ملاحقتها ورصدها.

ثانيًا– تحتاج البلاغة العربية إلى استكمال نظريتها، وأنا أقول الآن وبكل أريحية: النظرية البلاغية العربية لم تكتمل إلى الآن؛ لأن:

١– البلاغة العربية لم تهتم بالجانب الصوتي (الإيقاعي) بالشكل المناسب، والسبب في ذلك: أنها لم تراع الفروق الإيقاعية بين الأجناس المختلفة، ولم تستغل معطيات علمي العروض والقافية، ولم تستغل معطيات علم الأصوات، كما استغل عبد القاهر علم النحو في تأسيس نظرية النظم.

٢– والبلاغة العربية أهملت السياق، مع أن قوامها عليه، فالبلاغيون في تعريفهم للبلاغة يقولون: البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال هو بعينه ما يمكن أن تسميته: السياق المقامي، وإهمال السياق المقامي جاء نتيجة لإهمال المتكلم، والتركيز فقط على المخاطب.

---

(١) يراجع: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ثلاثة مجلدات (مطبعة المجمع العلمي العراقي، مج١ طبعة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ومج٢ طبعة ١٤٠٦ – ١٩٨٦م، ومج٣ طبعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، وأحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م).

كما أهملوا تمامًا السياق اللغوي، والسبب في ذلك: الجزئية التي تعد سمة أساسية من سمات البلاغية العربية وحتى يومنا هذا، فيجب أنْ تتجاوز دراسة البلاغة مجالَ البحث في الكلمة والجملة والجملتين، إلى البحث في الفقرة والقطعة الأدبية والأساليب المختلفة والنص كاملاً.

٣- والبلاغة العربية أهملت الحديث عن اختيار اللفظ المناسب للمعنى، وهو ما نتناوله في النقد الحديث تحت اسم (المعجم الفني)، وهو ما أشار إليه عبد القاهر وغيره من المتقدمين، وسكت عنه البلاغيون المتأخرون.

٤- والبلاغة العربية تغاضت عن بعض الأساليب مع ما وراءها من نكت ولطائف بلاغية، كتركهم بحث أساليب الإنشاء غير الطلبية، وتركهم بحث العطف ببقية أدوات العطف دون الواو في باب الفصل والوصل.

إلى غير هذه النواقص في النظرية التي تدرك بالتأمل ومعاودة النظر.

ثالثا- الاستعانة في تجديد البلاغة العربية بما يتناسب معها من الدراسات النفسيَّة، والأسلوبية، وعلم النص، والإفادة من علم التفسير وأصول الفقه، وكل ما يساعد على توضيحها، وتقرير مسائلها.

رابعًا- الحرص على ربط البلاغة بالنصوص البليغة؛ فلا بد أن توصل بالنبع القرآني الفيَّاض الزاخر بشتَّى الصور البيانيَّة، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، والشعر العربي عبر عصوره، والنثر العربي بشتى فنونه، ولم لا ندخل حتى اللغة العلمية في إطار البحث البلاغي؛ فأية لغة مهما كانت لا بد أنها تنطوي على العاطفي والعقلي، ولا تخلو أية لغة من جمال ما دامت مكتوبة بلغة عربية فصحى.

وأختم فأقول: تجديد البلاغة والنهوض بها واجب ملحٌ، وهو واجب الجامعات العربيَّة أولاً، ثم المجامع العلميَّة والهيئات الثقافية المعنية ثانيًا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانياً- الدواوين والمجموعات الشعرية:

١- امرؤ القيس: ديوانه، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
٢- امرؤ القيس: ديوانه، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٥، ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ).
٣- البحتري. ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، [د.ت]).
٤- بشار بن برد. ديوانه، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور (وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧م).
٥- الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
٦- الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
٧- ذو الرمة: ديوانه، شرحه: عبد الرحمن المصطاوي (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٨- رؤبة بن العجاج: ديوانه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي (دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، [د. ت]).
٩- زياد بن الأعجم. ديوانه، جمع تحقيق ودراسة: د. يوسف حسين بكار (دار المسيرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
١٠- الصنوبري. ديوانه، تحقيق: إحسان عباس (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

١١- العجاج. ديوانه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي (مكتبة أطلس، دمشق، سوريا، [د. ت.]).
١٢- لبيد: ديوانه، (دار صادر، بيروت، [د. ت]).
١٣- مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري: شعره، جمع وتحقيق ودراسة: عبد اللطيف يوسف عيسى (مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، مجلد ١٩، عدد ١١، ٢٠١٢م).
١٤- المتنبي: ديوانه، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي (دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).
١٥- المرزوقي الأصفهاني: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
١٦- أبو النجم العجلي: ديوانه، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد جمران (مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

ثالثا- المصادر:

١٧- البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
١٨- أبو البقاء الدميري: حياة الحيوان الكبرى (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ).
١٩- البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، [د. ت]).
٢٠- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
٢١- جار الله الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢٢- جلال الدين السيوطي: شرح شواهد المغني (لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م).
٢٣- جمال الدين بن منظور: نثار الأزهار في الليل والنهار (مطبعة الجوائب، القسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٢٩٨هـ).
٢٤- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م).
٢٥- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ).
٢٦- أبو الحسن الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، حققها وعلق عليه: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام (دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، [د.ت.]).
٢٧- الخالديان (أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي): حماسة الخالديين «الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين»، تحقيق: د. محمد علي دقة (وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م).
٢٨- الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام (دار المعارف، ط٥، ٢٠٠٨م).
٢٩- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م).
٣٠- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٣١- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي (دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة).
٣٢- الخطيب القزويني: تلخيص المفتاح، مطبوع في صدر كتاب: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، د. ت.).
٣٣- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (دار صادر – بيروت).
٣٤- شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ).
٣٥- صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).
٣٦- أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق: إحسان عباس (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م).
٣٧- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر (مطبعة المدني، القاهرة وجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
٣٨- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
٣٩- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر (مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، [د. ت]).
٤٠- أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ).
٤١- أبو عثمان الجاحظ: الحيوان (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤٢- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م).
٤٣- أبو الفتح العباسي: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (عالم الكتب – بيروت).
٤٤- الفخر الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٤م).
٤٥- الفراء: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين (دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى، د.ت).
٤٦- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ).
٤٧- ابن قتيبة: الشعر والشعراء (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ).
٤٨- ابن قتيبة: المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: د. سالم الكرنكوي وعبد الرحمن اليماني (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).
٤٩- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي (دار الكتب العلمية، بيروت).
٥٠- أبو هلال العسكري: ديوان المعاني (دار الجيل، بيروت).
٥١- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ).
٥٢- ياقوت الحموي: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م).

٥٣- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

رابعاً- المراجع:

٥٤- إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٠).

٥٥- أحمد الشايب: الأسلوب – دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، ١٤١١هـ=١٩٩١م).

٥٦- أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأدبية (مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م).

٥٧- أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب (مطبعة السفور، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢١م).

٥٨- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)

٥٩- أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م).

٦٠- أحمد مطلوب: مناهج بلاغية (وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م).

٦١- أمين الخولي: فن القول (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م).

٦٢- أمين الخولي: مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب (دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م).

٦٣- بدوي طبانة: علم البيان – دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، [د. ت]).

٦٤- جبر ضومط: الخواطر الحسان في المعاني والبيان (مطبعة التأليف – الهلال بالفجالة، القاهرة، ١٨٩٦م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٦٥- حسن طبل: الصورة البيانية في التراث البلاغي (مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٥م).
٦٦- حمادي الصمود: التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس- مشروع قراءة (منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م).
٦٧- سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية – آفاق جديدة (مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م).
٦٨- سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م) .
٦٩- شفيع الدين السيد: فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو (دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م).
٧٠- طه حسين: البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر (المكتبة العلمية، بيروت [د.ت]).
٧١- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (دار المعارف – مصر، الطبعة الثالثة، [د. ت]).
٧٢- عبد الرحمن حبنكة: البلاغة العربية – أسسها وعلومها، وفنونها (دار القلم بدمشق – والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م).
٧٣- عبد العزيز البشري: المختار (طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م).
٧٤- عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب في الحجاز (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة).
٧٥- عبد المالك مرتاض: قضايا الشعريات (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم، قسنطينة، الجزائر).
٧٦- فضل حسن عباس: البلاغة المفترى عليها (دار النور، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م).

٧٧- محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد إلى آخر القرن الرابع الهجري (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، [د.ت]).
٧٨- محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية (مؤسسة الرسالة – بيروت، ودار الفرقان – عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).
٧٩- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية – قراءة أخرى (الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة – مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م).
٨٠- محمد العمري: البلاغة العربية – أصولها وامتداداتها (أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م).

خامساً- الكتب المترجمة:

٨١- جان بياجيه: البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشيري أوبري (منشورات عويدات، بيروت وباريس، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م).
٨٢- ك. م. نيوتن: نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب (عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م).

سادساً- المجلات:

٨٣- محمد عبد الله صالح بلعفير: البنيوية: النشأة والمفهوم – عرض ونقد (مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٥، المجلد ١٦، يوليو – سبتمبر ٢٠١٧م).
٨٤- يوسف رزقة: القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي (مجلة العلوم الإسلامية، غزة، المجلد السابع، العدد الأول، يناير ١٩٩٩م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٠٦١
٢.	Abstract	٥٠٦٢
٣.	المقدمة :	٥٠٦٣
٤.	المبحث الأول : من إشكاليات البلاغة العربية	٥٠٦٥
٥.	أولاً - الاهتمام بالتقعيد والتقسيم:	٥٠٦٥
٦.	ثانياً- النظرة الجزئية:	٥٠٩١
٧.	ثالثاً- المنطقية وجفاف اللغة:	٥٠٩٧
٨.	رابعاً- إهمال المتكلم:	٥١٠٦
٩.	المبحث الثاني : البلاغة العربية في العصر الحديث	٥١٠٩
١٠.	الطائفة الأولى والتمسك بالموروث البلاغي:	٥١١١
١١.	الطائفة الثانية والدعوة إلى نبذ البلاغة القديمة جملة:	٥١١٢
١٢.	الطائفة الثالثة ومحاولات تجديد البلاغة:	٥١٢١
١٣.	خاتمة البحث	٥١٣٥
١٤.	المصادر والمراجع	٥١٣٨
١٥.	فهرس الموضوعات	٥١٤٦

تم بحمد الله